

التحفة العراقية

في الأعمال القلبية

تحقيق ودراسة

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

إعداد

يحيى بن محمد بن عبد الله الهنيدي

مكتبة الرشد

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

[الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده[٢] الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا][٣]، أما بعد:

فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي قد تسمى المقامات أو[٤] الأحوال، وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل: محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له[٥]، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له[٦]، وما يتبع ذلك، اقتضى ذلك[٧] بعض من[٨] أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا عجلان.

---

(١) في «ص» بعد البسملة: «وبه نستعين» قاعدة في التصوف والأعمال القلبية، تعرف بالتحفة العراقية، قال شيخ الإسلام ومفتي الأنام فريد دهره ووحيد عصره بقية المجتهدين قدوة المحققين تاج العارفين لسان المتكلمين تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، رفع الله في الثقلين ذكره وأعلا في الدارين قدره، وغفر لنا وله ولجميع المسلمين.
وفي «ش» بعد البسملة: «وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله». وفي «س» بعد البسملة: «وبه نستعين، رب يسر وأعن يا كريم». وفي «د» بعد البسملة: «وبه أثق».

(٢) في «ش»: «يهدي».

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «د».

(٤) في «د»: «والأحوال».

(٥) «والشكر له» ساقط من «س» و«ش».

(٦) «له» ساقط من «س».

(٧) «ذلك» ساقط من «س».

(٨) في «س»: «ما».

فأقول: هذه الأعمال جمعيها[1] واجبة على جميع الخلق المأمورين باتفاق أئمة الدين.

والناس فيها على ثلاث درجات، كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات[2]، فالظالم لنفسه: العاصي بترك مأمور أو فعل محظور[3]، والمقتصد: المؤدي للواجبات، والتارك للمحرمات، والسابق بالخيرات: المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومستحب، والتارك للمحرم والمكروه، وإن كان كل من المقتصد والسابق قد تكون له ذنوب تمحى عنه إما بتوبة ـ والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ـ، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب[4] مكفرة، وإما بغير ذلك، وكل من الصنفين: المقتصدين والسابقين من أولياء الله، وإن أولياء الله: هم الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[5]، فحد أولياء الله؛ هم المؤمنون المتقون، ولكن ذلك ينقسم إلى عام: وهم المقتصدون، وخاص: وهم السابقون، وإن كان السابقون على درجات كالأنبياء والصديقين، وقد ذكر النبي ﷺ القسمين في

---

(١) في «ش»: «على» بعد «جميعها»، وزيادتها خطأ لا يستقيم معها الكلام.

(٢) وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣٢].

(٣) في «د»: «مأمورًا وفعل محظورًا»، وفي «ش»: «مأمورًا أو فعل محظورًا»، وكلاهما خطأ.

(٤) في «ص» بياض.

(٥) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ ـ ٦٣.

الحديث الذي رواه البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء[1] ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي[2]، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني

---

(١) «أداء» ساقط من «س».

(٢) ليس في هذا الحديث دليل للحلولية فقد دل الحديث على الفرق بين الرب والعبد من وجوه متعددة لقوله: «ما عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة» ففرق بين نفسه ووليه وعدوه، فهو لم يقل أنا أسمع، وأنا أبصر، ولا أنا أبطش، ولا أنا أمشي، ثم قال: «وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه» ففرق بين المتقرب والمتقرب إليه، ثم قال: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» إلى آخره. ولم يقل: كنت إياه، ولا فيه أن فعل أحدهما هو فعل الآخر، ولكن أخبر أن إحساس العبد وفعله يقع به؛ لأن العبد إذا صار موافقًا لله فيما يحبه ويرضاه، يحب ما يحب، ويبغض ما يبغض، ويرضى بما يرضى، ويأمر بما يأمر، وينهى عما ينهى، صار الإيمان به ومعرفته وتوحيده في قلبه، فإحساسه وأفعاله تقع به، وهذا ما في القلب نظير قوله في ما في اللسان: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» [ذكر هذا الحديث في «صحيح البخاري: (١٣/ ٨٧)، كتاب التوحيد (٩٧) تعليقًا، وقد أخرجه موصولاً في كتاب خلق أفعال العباد، في باب ما كان النبي يذكره ويرويه عن ربه عز وجل. وهو في «المستدرك» للحاكم: (١/ ٤٩٦)، كتاب الدعاء، وقال الحاكم: صحيح. وأقره الزهبي]. فقال تحركت بي وإنما تحركت باسمه، كذلك قوله «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي»، أي: بما في قلبه من الإيمان بي، وبهذا يتضح معنى الحديث وأن هناك فرقًا بين فعل الرب وفعل. انظر: كتابه «الاستغاثة» المعروف بـ «الرد على البكري» لابن تيمية: (ص١٧٦ ـ ١٧٧). وانظر كلام ابن تيمية عليه في هذه الرسالة في (ص٤٣٩، وما بعدها). وانظر: «فتاوى ابن تيمية»: (١٧/ ١٣٤).

لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه»[١].

وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان، فمعه[٢] من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره؛ إذ[٣] الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون: إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأما القائلون بالتخليد؛ من[٤] الخوارج

---

(١) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب التواضع (٣٨)، ح٦٥٠٢، ولفظه هناك - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». كذلك «مسند الإمام أحمد»: (٦/ ٢٥٦)، بلفظ مقارب وهو عن عائشة.

(٢) في «س»: «ففيه».

(٣) في «س»: «فالشخص».

(٤) في «س»: «كالخوارج».

والخوارج يقال لهم: النواصب والحرورية، نسبة إلى حروراء، موضع خرج فيه أولهم على عليّ - رضي الله تعالى عنه -، وهم المحبون لأبي بكر وعمر، والمبغضون لعلي ابن أبي طالب وعثمان، والخوارج لما اختلفت صارت عشرين فرقة. وقال أبو الحسن الأشعري: الذي يجمعها إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ولم يرض ما حكاه الكعبي: من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب. =

والمعتزلة القائلون بأنه[1] لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة، وأنه لا شفاعة للرسول ولا غيره في أهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها[2].

فعندهم لا يجتمع[3] في الشخص الواحد ثواب وعقاب وحسنات وسيئات، بل من أثيب لم[4] يعاقب، ومن عوقب لم يثب.

ودلائل هذا الأصل من الكتاب والسنة وإجماع سلف[5] الأمة كثيرة[6]، ليس هذا موضعه قد بسطناه في مواضعه[7]. وينبني[8] عليه أمور

= انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٥٤ ـ ٩٢). وانظر: «خطط المقريزي»: (٢/ ٣٥٤)، و«مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري: (١/ ١٦٧، وما بعدها)، و«الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ١١٤، وما بعدها).

والمعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ويقولون بخلق القرآن، ويثبتون الذات وينفون الصفات، وأن الله لا يخلق الشر والظلم، وأن مرتكب الكبيرة يخلد في النار، والعاصي بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر وهم فرق.

انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٤٣)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٩٣).

(١) في «س» و«د»: «أنه».

(٢) في «د»: «ولا بعد»، وانظر هذا الكلام ونحوه في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم: (٤/ ٤٤ ـ ٦٣)، وكذلك في «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٤٨).

(٣) في «ص»: «لا يجمع».

(٤) في «س» و«د»: «لا يعاقب».

(٥) في «س»: «السلف والأمة» وهو خطأ ظاهر.

(٦) في «د» و«س»: «كثير» وهو خطأ.

(٧) انظر على سبيل المثال: «مجموع فتاوى ابن تيمية» جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد: (١١/ ١٧٣ ـ ١٧٥).

(٨) في «د»: «بينا» وهو تصحيف.

كثيرة، ولهذا من كان معه إيمان حقيقي، فلابد أن يكون معه[1] من هذه الأعمال بقدر إيمانه، وإن كان له ذنوب، كما روى البخاري[2] في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «أن رجلاً كان يدعى حمارًا، وكان يُضحك[3] النبي ﷺ، وكان يشرب الخمر ويجلده النبي ﷺ فأُتي به مرة، فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى[4] النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»[5].

---

(١) في «س»: «منه» وهو خطأ.

(٢) وهو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الإمام في علم الحديث، حافظ، وُلد سنة ١٩٤هـ في بخارى ورحل في طلب العلم إلى خراسان والعراق ومصر والشام، ودُفن بـ «خرتنك» قرية على فرسخين من سمرقند سنة ٢٥٦هـ من تصانيفه: «الجامع الصحيح»، و«التاريخ الكبير»، و«السنن في الفقه»، و«خلق أفعال العباد»، و«الأدب المفرد». انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: الجزء الأول من القسم الثاني: (٦٧)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي: (٢/ ٤ ـ ٣٤)، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي: (٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) في «س» أخر قوله: «يضحك» بعد الصلاة والسلام على النبي، وهو خطأ واضح، والرجل هو عبد الله الملقب بالحمار، كان صاحب مزاح يضحك النبي ﷺ ويهدي إليه العكة من السمن والعسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى النبي ﷺ فقال: أعط هذا متاعه، فما يزيد النبي ﷺ أن يبتسم ويأمر به فيعطى.
انظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة»: (٣/ ٢١٦، ترجمة رقم: ٢٩٠٢)، و«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: (١٢/ ٧٧).

(٤) «إلى» ساقط من «د».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٢، كتاب الحدود (٨٦)، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة (٥)، ح٦٧٨٠، ولفظه هناك عن ابن عمر بن الخطاب؛ أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي=

فهذا يبين أن المذنب[1] بالشرب وغيره قد يكون محبًا لله ولرسوله. وحب الله ورسوله أوثق عرى الإيمان، كما أن العابد الزاهد؛ قد يكون لما في قلبه من[2] بدعة ونفاق مسخوطًا من ذلك الوجه عند الله ورسوله، كما استفاض في الصحاح وغيرها من حديث علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري[3] وغيرهما[4] عن النبي ﷺ أنه ذكر الخوارج فقال: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته من قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[5].

= ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم اللعنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت، إنه يحب الله ورسوله».

(١) في «س»: «الذنب» وهذا تصحيف.

(٢) «من» ساقط من «س».

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، استصغر بأُحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين، روى عن النبي ﷺ الكثير وروى عن بعض الصحابة كأبي بكر وعمر وروى عنه من الصحابة: ابن عباس وابن عمر وغيرهما. مات سنة أربع وسبعين، وقيل: أربع وستين، وقيل: مات سنة ثلاث وستين، وقيل: مات سنة خمس وستين. انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٤/ ١٦٥)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر المطبوع بذيل «الإصابة» لابن حجر: (١١/ ٢٨٣).

(٤) «غيرهما» ساقط من «س».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الأنبياء (٦٠)، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ =

وهؤلاء قاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ، مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ. وقال فيهم النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «تمرق مارقة على حين[1] فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى[2] الطائفتين إلى الحق[3]»[4].

= . . .﴾ إلخ [هود: ٥٠]، ح٣٣٤٤، ولفظه هناك عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: «بعث علي ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ﷺ بذهيبة، فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري أحد بني كلاب. فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا. قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتىء الجبين كث اللحية محلوق فقال: اتق الله يا محمد فقال: من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ فسأله رجل قتله ـ أحسبه خالد ابن الوليد ـ فمنعه، فلما ولي قال: إن من ضئْضيءِ هذا ـ أو في عقب هذا ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

وانظره أيضًا في كتاب المناقب (٦١)، باب (٢٥) حديث (٣٦١٠) عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في نفس الكتاب والباب حديث (٣٦١١).

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب ذكر الخوارج وصفتهم (٤٧)، ح١٠٦٤/ ١٤٣، عن أبي سعيد الخدري بلفظ نحوه. وكذلك أيضًا في «صحيح مسلم»: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب (٤٨)، ح١٠٦٦/ ١٥٤، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

(١) في «س» و«د»: «خير» وهو تصحيف دل عليه سياق الحديث.

(٢) في «س»: «إحدى» وهو تصحيف.

(٣) «إلى الحق» ساقط من «س».

(٤) في «صحيح مسلم»: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٤٧)، ح١٠٦٥/ ١٥٠، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق».

ولهذا قال أئمة المسلمين كسفيان الثوري[1] وغيره[2]: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها[3].

ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها؛ أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب مادام يراه حسنًا[4]؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به أمر يجاب أو أمر[5] استحباب ليتوب فيفعله.

فمادام يرى فعله حسنًا وهو سيء في نفس الأمر، فإنه لا يتوب ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة[6]، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى ـ سبحانه وتعالى ـ من هدى[7] من الكفار والمنافقين وطوائف

---

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي. قال شعبة وابن عيينة وغيرهم من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان، وُلد سنة ٩٧هـ، وقيل غير ذلك، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ، محدث فقيه، وله من الكتب: «الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير»، و«الفرائض». انظر: «حلية الأولياء» للأصفهاني: (٦/ ٣٥٦)، و(٧/ ٣)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٤/ ١١١ ـ ١١٥)، و«معجم المؤلفين»: (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، و«صفة الصفوة»: (٣/ ١٤٧ ـ ١٥٢)، و«مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص١٦٩)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي: (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٧).

(٢) «غيره» ساقط من «س».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» للأصفهاني: (٧/ ٢٦)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (١١/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥).

(٤) قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٨]، ولا ريب أن المزين لهم عملهم هم أهل الأهواء والبدع، الذين لا مستند لهم في مأخذهم سوى التقليد واتباع الهوى.

(٥) «أمر» ساقط من «د».

(٦) واو العطف ساقطة من «ص».

(٧) في «ص»: «هداه».

من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع[1] من الحق ما علمه[2] «فمن عمل بما علم أورثه[3] الله علم ما لم يعلم»[4]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ [وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ][9]﴾[10].

---

(١) في «س»: «تتبع».

(٢) في «س»: «علمته» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «ص» و«د»: «ورثه».

(٤) هذا ليس بحديث، وإنما هو فيما يروى من كلام عيسى بن مريم عليه السلام. قال الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٥) بعد أن ساقه بسنده مرفوعًا، ما نصه: (ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه) انتهى.

(٥) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٦) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٦٨.

(٧) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٩) ما بين القوسين المعقوفين ساقط من «س».

(١٠) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

وشواهد هذا[١] كثيرة في الكتاب والسنة.

وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعًا[٢] لهواه، فأن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمي قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ][٣]﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ[٦] مَرَّةٍۢ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ][٧]﴾[٨].

وهذا استفهام نفي[٩] وإنكار، أي: وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون وإنا لنقلب[١٠] أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، على قراءة من قرأ «إنها» بالكسر[١١] تكون . . . .

---

(١) في «ص»: «ذلك».

(٢) في «ص»: «متبعا».

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٦) «أول» ساقط من «د».

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٨) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٩) «نفي» ساقط من «س».

(١٠) في «د» و«س»: «نقلب».

(١١) في همزة أنها قراءتان؛ الكسر والفتح ذكرها ابن الجزري في كتابه المسمى «تقريب النشر في القراءات العشر» فقال فيه: (قرأ ابن كثير والبصريان وخلف وأبو بكر بخلاف عنه «إنها إذا» بكسر الهمزة من «أنها» والباقون بالفتح). =

جزمًا[١] بأنها إذا جاءت لا يؤمنون، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة [ونذرهم في طغيانهم يعمهون][٢]، ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير[٣] وغيره[٤]: إن من ثواب الحسنة الحسنة

= انظر: «تقريب النشر في القراءات العشر» لمحمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ.
وقد ذكر القراءتين ووجه كل قراءة منهما ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٦٥) فقال: (قوله تعالى: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ قيل: المخاطب بما يشعركم المشركون، وإليه ذهب مجاهد، كأنه يقول لهم: وما يدريكم بصدقهم في هذه الأيمان التي تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ بكسر إن على أنها على استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وقرأ بعضهم ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾) انتهى.
وكذلك ذكرها ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان»: (٥/ ٢١١)، وكذلك النيسابوري في تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» المطبوع على هامش «الطبري»: (٥/ ٢١٣).

(١) في «د»: هكذا «حرامًا».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ص» و«س».

(٣) هو أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، الوالبي الكوفي، الفقيه البكاء، الشهيد تابعي، روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وأبي سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة.
قال عمرو بن ميمون عن أبيه: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. وقال أبو القاسم الطبري: هو ثقة إمام حجة على المسلمين.
قتل في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن (٤٩) سنة، وقيل: إن قتله كان في آخر سنة (٩٤)، قتله الحجاج ثم مات الحجاج بعده بأيام.
انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٤/ ١١ ـ ١٤)، و«حلية الأولياء» للأصبهاني: (٤/ ٢٧٢ ـ ٣١٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٣/ ٧٧ ـ ٨٦)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي: (١/ ٧٦ ـ ٧٧).

(٤) «وغيره» ساقط من «د» و«س».

بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها[1].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن مسعود[2] ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار[3]، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا»[4].

فأخبر النبي ﷺ أن الصدق أصل يستلزم البر، وأن الكذب يستلزم الفجور. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[5].

---

(١) لم أجد هذا القول له أو لغيره.

(٢) عبد الله بن مسعود بن الحارث، وقيل: ابن غافل بن هذيل، كنيته أبو عبد الرحمن، ممن شهد بدرًا وسائر المشاهد، وكان من فقهاء الصحابة، سكن الكوفة حين كان يلي بيت المال بها ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، ودُفن بالبقيع وكان له يوم مات بضع وستون سنة.

انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٢/٣٦٨)، و«مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص١٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٣٩٥).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٤) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: (٤/ . . . ، ٦٠٧/١٠٥)، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظه، إلا أن بدل قوله: «ولا يزال» كلمة «وما يزال». وكذلك هو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٠، كتاب الأدب (٧٨)، باب (٦٩)، ح٦٠٩٤؛ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

(٥) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

ولهذا كان بعض المشائخ إذا أمر بعض[1] متبعيه بالتوبة، وأحب أن لا ينفره ويتعب قلبه، أمره بالصدق. ولهذا يكثر في كلام[2] مشائخ الدين وأئمته ذكر الصدق والإخلاص حتى يقولوا[3]: قل لمن لا يصدق لا يتبعنا[4].

ويقولوا[5]: الصدق سيف الله في الأرض، ما وضع على شيء إلا قطعه[6].

ويقول يوسف بن أسباط وغيره: ما صدق الله عبد إلا صنع له[7]. وأمثال هذا كثير.

---

(١) «بعض» ساقط من «س».

(٢) «كلام» ساقط من «س».

(٣) في «ص» و«د»: «يقولون» وهو خطأ، لأن الفعل المضارع منصوب بأن المضمرة بعد حتى.

(٤) في «ص» و«د»: «يتبعني» وهو خطأ؛ لأن الضمير يعود على المتكلم وهو جماعة وليس مفرد، وفي «تلبيس إبليس» لابن الجوزي: (ص١٥٢) قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقًا لا تتعب.

(٥) في «ص» و«د»: «ويقولون» وهو خطأ؛ لأن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه وهو معطوف على منصوب وهو «يقولوا» الذي جاء بعد «حتى» وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٥٢): (قال ذو النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ: الصدق سيف الله، ما وضع على شيء إلا قطعه).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» للأصبهاني: (٨/ ٢٤٣)، ونصه هناك: (وإن علم الله منك الصدق رجوت أن يصنع الله لك). وهو يوسف بن أسباط بن واصل، الشيباني، الكوفي، نزل قرية بين حلب وإنطاكية تسمى «شيح»، حدث عن عامر بن شريح، وسفيان الثوري، وياسين الزيات. قال يحيى بن معين: ثقة ويكنى أبا محمد. وقال ابن حبان: في «الثقات». كان من عباد أهل الشام وقرائهم، مات سنة خمس وتسعين ومائة، وقيل: توفي قبل المائتين بسنة. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، و«حلية الأولياء» للأصبهاني: (٨/ ٢٣٧ ـ ٢٥٣)، و«صفوة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/ ٢٦١ ـ ٢٦٦)، و«مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص١٨٦ ـ ١٨٧). =

والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام، فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق. فأساس النفاق الذي ينبني عليه هو الكذب، ولهذا إذا ذكر الله[1] حقيقة الإيمان نعته بالصدق، كما في قوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا [وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾][2] إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[4]. فأخبر أن الصادقين في دعوى الإيمان، هم المؤمنون الذين لم يتعقب[5] إيمانهم ريبة وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم، وذلك أن هذا هو[6] العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى [قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ][7]﴾[8] قال ابن

---

(١) لفظ الجلالة ساقط من «د».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س» وبدلاً منه «إلى قوله».

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٥) في «س»: «تتعقب».

(٦) في «د»: «العهد هو» بتأخير الضمير.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من «س» وبدلاً منه كلمة «الآية».

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

عباس: ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء[1] ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ليؤمنن به ولينصرنه[2]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

فذكر ـ سبحانه ـ أنه أنزل الكتاب والميزان، وأنه أنزل الحديد لأجل القيام بالقسط، وليعلم الله من ينصره ورسله[4] ولهذا كان قوام الدين بكتاب[5] يهدي وسيف ينصر، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا، والكتاب[6] والحديد وإن اشتركا في الإنزال، فلا يمنع أن يكون أحدهما نزل من حيث لم ينزل الآخر، حيث نزل الكتاب من الله كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[8].

---

(١) في «س»: «وهو حي».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/٣٧٨). وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، كنيته أبو عباس، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، كان حبر الأمة وترجمان القرآن، ابن عم رسول الله ﷺ دعا له الرسول ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين»، مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص٩)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/٧٤٦)، و«الإصابة» لابن حجر: (٢/ ٣٣٠)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٥/ ٢٧٦).

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٤) في «ص»: «وليعلم من ينصر الله ورسوله».

(٥) في «د»: «الكتاب».

(٦) «والكتاب» ساقط من «س».

(٧) سورة الزمر، الآية: ١.

(٨) سورة هود، الآية: ١.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾[1].

والحديد أنزل من الجبال التي يخلق فيها[2]، وكذلك وصف[3] الصادقين في دعوى البر الذي هو جماع الإيمان[4] في قوله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ [وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ][5] أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[6]، وأما المنافقون فوصفهم سبحانه بالكذب في آيات متعددة، كقوله تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[9]، ونحو ذلك في[10] القرآن كثير.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦.
(٢) في «ص»: «منها».
(٣) «وصف» ساقط من «د».
(٤) في «س»: «الدين».
(٥) ما بين المعقوفين ساقط من «س» وبدلاً منه: «إلى قوله».
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٠.
(٨) سورة المنافقون، الآية: ١.
(٩) سورة التوبة، الآية: ٧٧.
(١٠) في «س»: «من».

ومما ينبغي أن يعرف أن[1] الصدق والتصديق يكون في الأقوال[2] والأعمال كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «كتب على ابن آدم حظه من الزنا، فهو[3] مدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان وزناهما السمع، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والقلب يتمنى ويشتهي، والفرج يصدق ذلك أو[4] يكذبه»[5].

ويقال: حملوا على العدو حملة صادقة، إذا كانت إرادتهم للقتال ثابتة[6] جازمة. ويقال: فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك. ولهذا يريدون بالصادق، الصادق في إرادته وقصده وطلبه، وهو الصادق في

---

(١) «أن» ساقط من «د».

(٢) في «د»: «وفي الأعمال».

(٣) في «ص»: «وهو».

(٤) في «س»: «ويكذبه».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الاستئذان (٧٩)، باب زنا الجوارح دون الفرج (١٢)، ح٦٢٤٣، ولفظه: قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهيد والفرج يصدق ذلك ويكذبه».

وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٥)، ح٢٦٥٧، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدان زناهما البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه».

(٦) في «د»: «ثانية» وهذا تصحيف وهو خطأ واضح.

عمله، ويريدون الصادق في خبره وكلامه، والمنافق ضد المؤمن الصادق، وهو الذي يكون كاذبًا في خبره أو كاذبًا في عمله، كالمرائي بعمله(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ [يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ](٢)﴾.

وأما الإخلاص لله(٣) فهو حقيقة الإسلام؛ إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ](٤)﴾. فمن لم يستسلم لله(٥) فقد استكبر، ومن استسلم له(٦) ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك [ضد الإسلام، والإسلام ضد الكبر والشرك](٧)، ويستعمل لازمًا ومتعديًا، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٨)، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ](٩)﴾، وأمثال ذلك في القرآن(١٠) كثير.

---

(١) في «س»: «في عمله بعمله».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، وبدلاً منه فيها: «الآيتين» سورة النساء: ١٤٢ـ١٤٣.

(٣) لفظ الجلالة ساقط من «ص».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، وبدلاً منه الآية، وفي «د» سقط قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٩].

(٥) لفظ الجلالة ساقط من «س».

(٦) في «س»: «لله».

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، وبدلاً منه الآية وهي في سورة البقرة: ١١٢.

(١٠) «القرآن» ساقط من «د».

ولهذا كان عنوان[1] الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينًا سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[3].

وهذا الذي ذكرناه مما يبين أن أصل الدين في الحقيقة: هي الأمور الباطنة من العلوم والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد[4] في «مسنده»: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»[5].

---

(١) «عنوان» ساقط من «س»، وفي «د» بدلاً منه: «رأس».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.

(٤) أحمد بن حنبل: الإمام المحدث، وُلد ببغداد سنة ١٦٤هـ، ونشأ بها، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ زعيم المعارضين لأحمد بن داود في مسألة خلق القرآن. قال ابن المدني: إن الله أعز الإسلام برجلين أبي بكر يوم الرد، وابن حنبل يوم المحنة. وقال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من ابن حنبل. ومن أشهر كتبه «المسند» جمع فيه ثلاثين ألف حديث توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ٢٤١هـ.
انظر: «طبقات الحنابلة» لابن يعلى: (١/ ٤ ـ ٢٠)، و«تاريخ بغداد»: (٤/ ٤١٢)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ٩ ـ ١٦١).

(٥) «مسند الإمام أحمد بن حنبل»: (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب، قال: ويشير بيده إلى صدره ثلاث مرات قال: ثم يقول: التقوى ههنا التقوى ههنا».
وذكره الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: حديث رقم (٢٢٨٠) وعزاه إلى=

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير[1] عن النبي ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك أمور مشتبهات، لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه[2]، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى[3] حول الحمى يوشك أن يواقعه[4]، ألا وإن لكل ملك حمى ألا[5] وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا[5] وهي القلب»[6].

= ابن أبي شيبة عن أنس، وقال عنه: ضعيف. وأعله بأن فيه علي بن مسعدة قال العقيلي: في الضعفاء. قال البخاري: فيه نظر. وانظر: «تخريج الألباني على شرح الطحاوية»: (ص٣٢٨).

(١) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، أبو عبد الله، سكن الكوفة مدة، وكان أميرها في عهد معاوية، ثم خرج إلى الشام وولي قضاء دمشق، وقتل بحمص، وكان عاملاً لابن الزبير على حمص سنة خمس وستين، وقيل: قتل سنة ست وستين. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٠، رقم٣٣٢)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١٠/ ٤٤٧).

(٢) في «س»: «لعرضه ودينه».

(٣) «يرعى» ساقط من «ص».

(٤) في «س»: «أن يقع فيه».

(٥) «ألا» ساقطة من «س» و«ص» في الموضعين.

(٦) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب فضل من استبرأ لدينه (٣٩)، ح٥٢، عن النعمان ابن بشير يقول: سمع رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». =

وعن أبي هريرة[1] قال: «القلب ملك، والأعضاء جنوده، [فإذا طاب الملك طابت جنوده][2] وإذا خبث الملك خبث جنوده»[3].

* * *

= وهو في «صحيح مسلم»: ج٣، كتاب المساقاة (٢٢)، باب (٢٠)، ح١٥٩٩/١٠٧، بلفظ نحوه.

(١) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، اليماني، صاحب رسول الله ﷺ وحافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافًا كثيرًا، وهو أكثر الصحابة رواية لحديث رسول الله ﷺ. مات أبو هريرة سنة سبع وخمسين، وقيل غير ذلك.
انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٤/ ٢٠٢)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١٢/ ٢٦٢)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص١٥، رقم٤٦).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٣) أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير». انظر: «فيض القدير»: (٤/ ٥٣٨)، وذكر أنه في «شعب الإيمان» للبيهقي. وذكره الألباني في «ضعيف الجامع الصغير»: (٤/ ١٣١، رقم٤٠١٤٢)، وهو في «سلسلة الأحاديث الضعيفة: برقم (٤٠٧٤).

فصل

وهذه الأعمال الباطنية ـ كمحبة الله، والإخلاص له، والتوكل عليه، والرضا عنه، ونحو ذلك، كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة، لا يكون تركها محمودًا في حال أحد، وإن ارتقى مقامه.

وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[2]، وكقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[5]. وأمثال ذلك كثير[6].

وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به، نعم لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم، كما يُحزن على المصائب[7] كما قال النبي ﷺ: «إن الله لا يؤاخذ بدمع[8] العين،

---

(١) «إن كنتم مؤمنين» ساقط من «س» و«ص». سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٢) «مما يمكرون» ساقط من «س». سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٦) «كثير» ساقط من «ص».

(٧) في «س»: «كما يحرم على المعتدي».

(٨) في «د» و«س»: «على دمع».

ولا بحزن[1] القلب، ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم وأشار بيده[2] إلى لسانه»[3]. وقال[4] ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب»[5]. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[6].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه ويكون محمودًا من تلك الجهة لا من جهة الحزن؛ كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير

---

(١) في «س» و«د»: «ولا على حزن».

(٢) «بيده» ساقط من «د».

(٣) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب البكاء عند المريض (٤٤)، ح١٣٠٤، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا ـ وأشار إلى لسانه ـ أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه».

(٤) في «ص»: «قوله».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، ح١٣٠٣، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب وفيه: فقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» مع زيادة في أول الحديث.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

وبغض الشر وتوابع ذلك. ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى[1] ترك مأمور من الصبر والجهاد، وجلب منفعة ودفع مضرة نهي عنه[2]، وإلا[3] كان حسب صاحبه رفع الإثم عنه من جهة الحزن.

وأما إن أفضى إلى ضعف القلب، واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله، كان مذمومًا عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودًا من جهة أخرى.

وأما المحبة لله والتوكل عليه والإخلاص له[4] ونحو ذلك، فهذه كلها خير محض، وهي حسنة محبوبة[5] في حقِّ كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن قال: إن هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك، إن أراد خروج الخاصة عنها، فإن هذه لا يخرج عنها مؤمن قط، وإنما يخرج عنها كافر[6] ومنافق، وقد تكلم بعضهم في ذلك بكلام بيَّنَّا غلطه فيه، وأنه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة بكلام مبسوط[7] وليس هذا موضعه[8].

ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها إلى خصوص وعموم،

---

(١) في «س»: «على».

(٢) في «س»: «منهي عنه».

(٣) في «س»: «ولا».

(٤) «له» ساقط من «س».

(٥) في «س»: «محسوبة» وهو تصحيف.

(٦) في «ص»، و«د»: «كافرًا» وهو خطأ؛ لأنه فاعل ليخرج، وحكمه الرفع لا النصب.

(٧) الواو ساقط من «ص».

(٨) انظر على سبيل المثال: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١/ ٢٤٢)، وقد سبق بيان من جعل بعض أعمال القلوب للعامة دون الخاصة في القسم الأول من هذه الرسالة.

فللخاصة خاصها وللعامة عامها، مثل ذلك؛ أن هؤلاء قالوا: التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت، والخاص لا يناضل عن نفسه. وقالوا: المتوكل يطلب بتوكله أمرًا من الأمور، والعارف يشهد الأمور[١] مفروغًا[٢] منها[٣] فلا يطلب شيئًا.

فيقال: أما الأول فإن التوكل أعم من التوكل[٤] في مصالح الدين أو[٥] الدنيا، فإن التوكل يتوكل على الله سبحانه في صلاح قلبه ودينه وحفظ إيمانه وزيادته[٦]، وهذا أهم[٧] الأمور إليه، ولهذا[٨] يناجي ربه في كل[٩] صلاة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١٠]، كما في قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[١١]، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١٢].

[وقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾][١٣]،

---

(١) في «ص»: «الأمر».

(٢) في «س»: «بفروعها» وهذا تصحيف.

(٣) في «ص»: «منه».

(٤) في «ص»: «المتوكل» وهذا تصحيف.

(٥) قوله: «الدين أو» ساقط من «س» و«د».

(٦) في «س»: «وحفظه لسانه وإرادته».
وفي «د»: «وحفظ لسانه وإرادته».

(٧) في «د»: «لأهم» وهذا تصحيف.

(٨) في «د»: «وهذا» وهذا تصحيف.

(٩) «كل» ساقط من «س».

(١٠) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(١١) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(١٢) سورة هود، الآية: ٨٨، وكذلك سورة الشورى، الآية: ١٠.

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، والآية في سورة الرعد الآية: ٣٠.

فهو[1] قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع؛ لأن هذين يجمعان الدين كله، ولهذا قال من قال من السلف: إن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب، وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[2]، وهاتان الكلمتان هما الجامعتان اللتان للرب والعبد، كما جاء[3] في الحديث الصحيح الذي في «صحيح مسلم»[4] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله سبحانه وتعالى[5]: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل»،

---

(١) في «س» و«د»: «فهذا» وهو خطأ.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥، وفي «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى» (١٧/ ١٦) ما نصه: (وقال الحسن البصري: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن) اهـ.

وقال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٧٤): (وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع، والثواب والعقاب، انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد) اهـ.

(٣) كلمة «جاء» ساقطة من «س» و«د».

(٤) الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، صاحب كتاب «الصحيح» وُلد سنة أربع ومائتين، وتوفي بنيسابور عشية الأحد، ودُفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١٠/ ١٢٧)، و«تذكرة الحفاظ»: (ص١١١٤ ـ ١١٣٧).

(٥) في «د»: «يقول عز وجل».

قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: الحمد لله رب العالمين. يقول الله: حمدني عبدي. يقول: الرحمن الرحيم. يقول الله: أثنى عليَّ عبدي. يقول: مالك[1] يوم الدين. يقول الله: مجدني عبدي. يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين. يقول الله: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. يقول الله: فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»[2].

---

(١) في «د»: «ملك».
وهي قراءة صحيحة في الآية، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٤) ما نصه: (قرأ بعض القراء ﴿ملك يوم الدين﴾ وقرأ آخرون ﴿مالك﴾ وكلاهما صحيح متواتر في السبع) اهـ.
وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٤٠): (اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك أو مالك؟ والقراءتان مرويتان عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر) اهـ.
وفي كتاب «التبصرة في القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م بتصحيح وتعليق محمد غوث الندوي، ما نصه: (قرأ عاصم والكسائي ﴿مالك﴾ بالألف، وقد روى أبو الحارث عن الكسائي ﴿ملك﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون بغير ألف، وأجمعوا على كسر الكاف من ملك، من غير البلوغ ياءً) اهـ.

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: (١/ ...، ح٣٨)، كتاب الصلاة (٤)، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ... إلخ (١١)، عن أبي هريرة ... فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدني عبدي (وقال مرة: فوض إلي عبدي) فإذا قال: إياك نعبد، وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». =

فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير[1]، والعبد له نصف الدعاء والطلب، وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد. فإياك نعبد للرب، وإياك نستعين للعبد. وفي[2] «الصحيحين» عن معاذ[3] ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت رديف النبي[4] ﷺ فقال[5]: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على عباده[6] أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم»[7].

---

(١) في «س» و«د»: «الخير.

(٢) في «ص»: «كما».

(٣) هو الصحابي الفقيه العالم أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، هو أعلم الأمة بالحلال والحرام، وقد أصيب بالطاعون عندما وقع بالشام، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٧هـ.
انظر: «البداية والنهاية»: (٧/ ٨٧٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ٢٢٨)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٠).

(٤) في «ص»: «رسول الله».

(٥) في «ص»: «فقال لي».

(٦) في «س»: «العباد».

(٧) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الجهاد (٥٦)، باب اسم الفرس والحمار (٤٦)، ح٢٨٥٦، عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا. فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا».

والعبادة هي: الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمر الله ومحبته ورضاه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وبها أرسل الله[2] الرسل وأنزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الحب ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلي عن ذل، والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين. ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله، وهي وإن كانت منفعتها للعبد، والله غني عن العالمين، فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها، ولهذا كان الله أشد فرحًا بتوبة العبد من الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه في أرض دوية[3] مهلكة، إذ[4] نام آيسًا منها ثم استيقظ فوجدها، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته[5] وهذا يتعلق به أمور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هذا الموضع[6].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) لفظ الجلالة ساقط من «س».

(٣) الأرض الدّوية: المفازة. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٢١٧)، و«لسان العرب» لابن منظور: (١/ ١٠٣٩)، مادة: «دوا».

(٤) في «س» و«ص»: «إذا».

(٥) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب التوبة (٤٩)، باب في الحض على التوبة والفرح بها (١)، ح٢٧٤٤، عن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

(٦) انظر على سبيل المثال: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رحمه الله تعالى: (١٠/ ٢٠٤)، وكذلك «جامع الرسائل» لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، رسالة في التوبة: (ص٢١٧ ـ ٢٧٩).

والتوكل والاستعانة للعبد؛ لأنه هو الوسيلة والطريق الذي ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة، فالاستعانة كالدعاء والمسئلة. وقد روى الطبراني[1] في كتاب «الدعاء» عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: يا ابن آدم إنما هي أربع: واحدة لي وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين خلقي، فأما التي هي[2] لي، فتعبدني لا تشرك بي شيئًا، وأما التي هي لك، فعملك[3] أجازيك[4] به أحوج ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك، فمنك الدعاء وعليّ الإجابة، وأما التي بينك وبين خلقي، فأت إلى الناس ما تحب أن يأتوه إليك[5]»[6].

---

(١) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم من كبار المحدثين أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان، له ثلاثة معاجم في الحديث، وله كتب في التفسير وغير ذلك. انظر: «الأعلام» لخير الدين الزركلي: (٣/ ١٨٢)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٣/ ٩١٢).

(٢) «هي» ساقط من «س» و«د».

(٣) قوله «فعملك» ساقط من «س».

(٤) في «د»: «أجزيك».

(٥) في «س»: «لك».

(٦) والحديث في «فيض القدير»: (٤/ ٤٩٧)، لكن بلفظ: «ثلاثة». قال الله تعالى: (يا ابن آدم ثلاث: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، فأما التي لي: فتعبدني ولا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك: فما عملت من عمل جزيتك به، فإن أغفر فأنا الغفور الرحيم، وأما التي بيني وبينك: فعليك الدعاء والمسألة وعلى الاستجابة والعطاء) في الطبراني عن سلمان الفارسي، رمز له السيوطي بأنه حسن. قال الهيثمي: وفيه حميد بن الربيع مدلس وفيه ضعف. وذكره الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: (٤/ برقم٤٠٦٢)، وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط» عن سلمان، وقال: ضعيف وهو في «الأحاديث الضعيفة»: برقم (٤١٥٢).

وكون هذا للرب[1] وهذا للعبد، هو باعتبار تعلق المحبة والرضا ابتداء، فإن العبد ابتداء يحب[2] ويريد ما يراه ملائمًا له [والله تعالى يحب ويرضى ما هو الغاية المقصودة في رضاه، وحبه[3] الوسيلة تبعًا لذلك][4]، وإلا فكل مأمور به فمنفعته[5] عائدة على العبد، وكل ذلك يحبه الله ويرضاه، وعلى هذا فالذي ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به[6] إلا حظوظ الدنيا، وهو غلط بل التوكل في الأمور الدينية أعظم.

وأيضًا فالأمور[7] الدينية التي لا تتم الواجبات أو المستحبات إلا بها هي من الدين، والزاهد[8] فيها زاهد[9] فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه.

والزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهي[10] فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أن الورع المشروع: هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التي[11] لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها؛ كالواجبات.

---

(١) في «س» و«د»: «لله».

(٢) قوله: «فإن العبد ابتداء يحب» ساقط من «د».

(٣) في «د»: «ويحب».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

(٥) في «د»: «فمنعنه» وهو تصحيف.

(٦) في «د»: «منه به».

(٧) الفاء ساقطة من «س» و«د».

(٨) في «ص»: «والزهد».

(٩) في «ص»: «زهد».

(١٠) في «س»: «وهو».

(١١) «التي» ساقط من «د».

فأما[1] ما ينفع في الدار الآخرة بنفسه أو يعين[2] على ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين، بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[3]، كما أن الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع، فإن اشتغل بها عن واجب أو فعل بها[4] محرمًا[5] كان عاصيًا وإلا كان منقوصًا عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين، وأيضًا فالتوكل هو محبوب لله مرضي له[6] مأمور به دائمًا، وما كان محبوبًا لله مرضيًا له[7] مأمورًا به دائمًا لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين. فهذه ثلاثة أجوبة عن قولهم: المتوكل لا يطلب حظوظه. وأما قولهم: إن الأمور قد فرغ منها: فهذا نظير ما قاله بعضهم في الدعاء: (إنه لا حاجة إليه؛ لأن المطلوب إن كان مقدرًا فلا حاجة إليه، وإن لم يكن مقدرًا لم ينفع الدعاء). وهذا القول من أفسد الأقوال شرعًا وعقلاً.

وكذلك قول من قال: (التوكل و[8] الدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وإنما هو عبادة محضة، وأن حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض). وهذا وإن كان قاله طائفة من المشايخ، فهو غلط أيضًا،

---

(١) في «د»: «وأما».

(٢) «يعين» ساقط من «س».

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

(٤) «بها» ساقط من «س» و«ص».

(٥) في «س» و«ص»: «محرم» وهو خطأ؛ لأنه مفعول به فحكمه النصب.

(٦) «له» ساقط من «س» و«ص».

(٧) «له» ساقط من «س» و«ص».

(٨) في «د»: «أو».

وكذلك قول من قال: (إن[1] الدعاء إنما هو علامة[2] محضة). فهذه الأقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد، وهو أن هؤلاء ظنوا أن كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرة أيضًا تكون من العبد، ولم يعلموا أن الله ـ سبحانه ـ يقدر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها[3] معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم، ولهذا كان طرد قولهم يوجب تعطيل الأعمال بالكلية، وقد سئل النبي ﷺ عن هذا الأصل فأجاب عنه، كما أخرجاه[4] في «الصحيحين» عن عمران بن حصين[5] قال: «قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله[6]، أَعُلم أهل الجنة من أهل النار؟! قال: نعم، قيل[7]: ففيم العمل؟! قال: كلٌّ ميسرٌ لما خُلق له»[8].

---

(١) «أن» ساقط من «س» و«ص».

(٢) في مطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٢٢): «عبادة» وهو خطأ وكذلك مطبوعة المكتب الإسلام، نشر قصي محب الدين الخطيب: (ص٤٤).

(٣) في «س»: «يجعلها».

(٤) في «س» و«ص»: «أخرجا».

(٥) هو عمران بن حصين الخزاعي الأزدي، كنيته أبو نجيد، من عباد الصحابة مات سنة ٥٢هـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص٣٧).

(٦) قوله: «يا رسول الله» ساقط من «د».

(٧) في «س» و«ص»: «قال».

(٨) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب القدر (٨٢)، باب جف القلم على علم الله . . . إلخ (٢)، ح٦٥٩٦، عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له، أو لما يسر له».
وهو في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (١)، ح٩/٩٦٤٩، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

وفي «الصحيحين» عن علي بن أبي طالب[1] قال: «كنا في جنازة فيها رسول الله ﷺ فجلس ومعه مخصرة، فجعل[2] ينكت بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال: ما منكم من أحد[3]، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من النار أو الجنة إلا[4] وقد كتبت شقية أو سعيدة. قال: فقال رجل من القوم: يا نبي الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة ليكونن إلى الشقاوة، قال: اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له».

أما أهل السعادة فييسرون للسعادة، وأما أهل الشقاوة فيصيرون[5] للشقاوة، ثم قرأ[6] نبي الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾»[7].

---

(١) هو علي بن أبي طالب، ويكنى أبا الحسن ـ رضي الله عنه ـ، وُلد سنة ٢٢ قبل الهجرة وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي وصهره، استشهد في سنة ٤٠هـ. انظر: «صفة الصفوة»: (١/٣٠٨ ـ ٣٣٥)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر: (ص١٠٨٩)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٦).

(٢) «فجعل» ساقط من «س» و«ص».

(٣) قوله: «ما منكم من أحد» ساقط من «س» و«ص».

(٤) الواو ساقطة من «د».

(٥) في «د» و«ص»: «فيسرون».

(٦) في «س» و«د»: «قال».

(٧) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، ح١٣٦٢، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله (٨٢)، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد، وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو=

أخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسانيد.

وروى الترمذي[١]: «أن النبي ﷺ سئل فقيل: يا رسول الله[٢]، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي[٣] بها، وتقى نتقيها[٤]، هل ترد من[٥] قدر الله شيئًا؟ فقال: هي من قدر الله»[٦].

وقد جاء هذا المعنى عن النبي ﷺ في عدة أحاديث، فبين ﷺ أن

= سعيدة. فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة. ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآية [سورة الليل، الآيات: ٥ ـ ١٠]».

وهو في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (١)، ح٢٦٤٧/٦، عن علي ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(١) في «ص» بياض.

والترمذي هو الإمام الحافظ أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، مصنف «الجامع» وكتاب «العلل». ومات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ. انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٢/ ٦٣٣).

(٢) قوله: «فقيل: يا رسول الله، أرأيت» ساقط من «د»، وبدلاً منه «عن».

(٣) في «ص» و«د»: «يسترقى».

(٤) في «س»: «نتقي بها».

(٥) في «س»: «عن».

(٦) «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب الطب (٢٩)، باب ما جاء في الرقي والأدوية (٢١)، ح٢٠٦٥، عن أبي خزامة عن أبيه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله».

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

تقدم العلم والكتاب[1] بالسعيد والشقي، لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة، فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم الأمور على ما هي عليه[2]، وكذلك[3] يكتبها، فهو يعلم أن السعيد يسعد[4] بالأعمال الصالحة، والشقي يشقى[5] بالأعمال السيئة. فمن كان سعيدًا يسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة، ومن كان شقيًّا يسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة، وكلاهما ميسر لما خُلق له، وهو ما يصير إليه من مشيئة الله العامة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[6]، وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه، وهو إرادته الدينية التي[7] أمروا[8] بموجبها، فذلك مذكور[9] في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[10].

والله سبحانه قد بيَّن في كتابه[11]، في كل واحدة من الكلمات

---

(١) في «س»: «العمل والكتابة» وفيه تصحيف ظاهر خطأه.

(٢) «عليه» ساقط من «د».

(٣) «كذلك» ساقط من «ص».

(٤) في «د»: «سعيد».

(٥) في «د»: «شقي».

(٦) سورة هود، الآيتان: ١١٨ ـ ١١٩.

(٧) «التي» ساقط من «س».

(٨) في «س»: «أمر».

(٩) في «س»: «مذكر» وهذا تصحيف.

(١٠) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(١١) في «س» أخر قوله: «في كتابه» بعد قوله: «في كل واحدة».

والأمر[1]، والإرادة، والإذن والكتاب، والحكم والقضاء، والتحريم، ونحو ذلك؛ ما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه[2]، وأمره الشرعي، وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية.

مثال ذلك أنه قال في الأمر الديني: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾[4]، ونحو ذلك. وقال في الكوني: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5]، وكذلك قوله: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾[6] [على أحد الأقوال[7] في هذه الآية][8].

---

(١) في «د»: «والأمور».

(٢) في «ص»: «لمحبته ورضاه».

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٥) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٦، وقوله تعالى ﴿فدمرناها تدميرًا﴾ ساقط من «س».

(٧) في «تقريب النشر في القراءات العشر» لابن الجوزي (ص١٣٣) قال: (قرأ يعقوب ﴿أمرنا﴾ بمد الهمزة والباقون بقصرها) وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٢): (اختلف القراء في قراءة قوله ﴿أمرنا﴾ فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها فقيل معناه: أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرًا قدريًا كقوله تعالى: ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا﴾ فإن الله لا يأمر بالفحشاء. قالوا: معناه: أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب. وقيل: معناه: أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة) انتهى.

وانظر في ذلك: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

وقال في الإرادة الدينية: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[2]، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾[3]. وقال في الإرادة الكونية: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[4]، وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[5]. وقال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[6]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[7].

وقال في الإذن الديني[8]: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[9]، وقال تعالى في الكوني: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٦.
وقوله تعالى: ﴿ويتوب عليكم﴾ ساقط من «س».

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة هود، الآية: ٣٤.

(٧) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٨) قوله: «الديني» ساقط من «س».

(٩) سورة الحشر، الآية: ٥.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

وقال في القضاء الديني: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]، أي: أمر. وقال تعالى في الكوني: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[2].

وقال تعالى في الحكم الديني: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[4]، وقال تعالى في الكوني عن ابن يعقوب: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[6].

وقال تعالى في التحريم الديني: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾[8] الآية. وقال تعالى في التحريم الكوني: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[10].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١١٢.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٨) سورة النساء، الآية: ٢٣.
وفي «د» أورد الآية بكاملها.

(٩) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

(١٠) هاتان الآيتان ساقطتان من «س». وهما في سورة المعارج، الآيتان: ٢٤ ـ ٢٥.

وقال في الكلمات الدينية: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[1]، وقال تعالى في الكونية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[2]. ومنه قوله ﷺ المستفيض عنه من وجوه في الصحاح[3] والسنن[4] والمسانيد[5] أنه كان يقول في استعاذته: «أعوذ بكلمات الله

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٣) «صحيح البخاري بشرح فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الأنبياء (٦٠)، باب (١٠)، ح٣٣٧١، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (١٦)، ح٢٧٠٩، عن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: «أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك».

(٤) وكذلك الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في «سنن أبي داود»: (٤/ ١٢)، كتاب الطب، باب كيف الرقى.
وأخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٤١)، عن خولة بنت حكيم السلمية عن رسول الله ﷺ، قال: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك». قال: هذا حسن صحيح غريب.

(٥) وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩): حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا أبو التياح، قال: «سأل رجل عبد الرحمن بن حنبش كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين، قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية وتحدرت عليه من الجبال وفيهم شيطان ومعه شعلة من نار يريد أن=

التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر».

ومن المعلوم أن هذا هو الكوني الذي لا[1] يخرج منه شيء عن مشيئته وتكوينه، وأما كلمات دينه[2] فقد خالفها الفجار بمعصيته.

والمقصود هنا: أنه ﷺ بيّن أن العواقب التي خلق لها الناس من سعادة وشقاوة ييسرون لها بالأعمال التي يصيرون بها إلى ذلك. كما أن سائر المخلوقات كذلك فهو ـ سبحانه ـ يخلق الولد وسائر الحيوان[3] في الأرحام بما يقدره من اجتماع الأبوين[4] على النكاح واجتماع المائين في الرحم، فلو قال الإنسان: أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فإن كان الله[5] قد قضى لي بولد وجد[6] وإلا لم يوجد، ولا حاجة لي إلى وطء، كان أحمق

= يحرق بها رسول الله ﷺ قال: فرعب، قال جعفر: أحسبه قال: جعل يتأخر قال وجاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، قل. قال: ما أقول. قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن، فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله عز وجل».

وقال في «الفتح الرباني لترتيب مسند امام أحمد» تأليف أحمد عبد الرحمن البنا: (١٤/ ٢٦٠) في كتاب الأذكار والدعوات، باب ما يقال لدفع كيد الشياطين وتمردهم على الإنسان، قال: سنده جيد.

(١) «لا» ساقط من «د».

(٢) في «س»: «دينية».

(٣) في «د»: «الحيوانات».

(٤) في «د»: «من اجتماع على النكاح الأبوين».

(٥) لفظ الجلالة ساقط من «د» و«س».

(٦) «وجد» ساقط من «د».

بخلاف ما إذا وطىء وعزل[1] الماء، فإن عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد إذا شاءه[2] الله؛ إذ قد يسبق بغير اختياره.

وقد ثبت[3] في «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة[4] بني المصطلق فأصبنا سبيًا من العرب، فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل، فسألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما عليكم إلا تفعلوا، فإن الله قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة»[5].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر[6] «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا[7] في النخل، وأنا أطوف عليها وأكره أن

---

(١) في «د»: «فإن عزل».

(٢) الهاء، الضمير ساقط من «س» و«د».

(٣) في «ص»: «ولهذا ثبت»، وفي «د»: «ومن هذا ما ثبت».

(٤) في «س»: «غزاة».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: (٢/ ، ح١٤٣٨)، كتاب النكاح (١٦)، باب حكم العزل (٢٢)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وقد سئل عن العزل فقال: نعم. غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بالمصطلق فسبينا كرائم العرب فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء. فأردنا أن نستمتع ونعزل. فقلنا: نفعل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا لا نسأله. فسألنا رسول الله ﷺ فقال: «لا عليكم أن لا تفعلوا. ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون».

(٦) الصحابي الجليل جابر بن عبد الله شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها، توفي بالمدينة سنة ثلاث وسبعين وكان في الرابعة والتسعين من عمره.
انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد»: (٣/ ١٦٤)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص١١).

(٧) في «ص» هكذا: «فساسا»، وفي «س»: «وساقيتنا».

تحمل. فقال: اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها»[١].

وهذا[٢] مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الإنسان من غير أبوين كما خلق آدم، ومن خلقه من أب فقط، كما خلق حواء من ضلع آدم القصير، ومن خلقه من أم فقط؛ كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام، لكن خلق ذلك بأسباب أخرى غير معتادة[٣] وهذا الموضع وإن كان إنما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع، فقد وقع في كثير من دقته كثير من المشايخ المعظمين، يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق[٤] لما أمر به ونهى عنه، ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل والتجري مع الحقيقة القدرية، ويحسب أن قول القائل: ينبغي للعبد أن يكون مع الله كالميت بين يدي الغاسل[٥]. يتضمن ترك العمل بالأمر والنهي حتى يترك ما أمر به ويفعل ما نهي عنه وحتى يضعف عنده[٦] النور والفرقان الذي يفرق به بين

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب النكاح، (١٦)، باب حكم العزل (٢٢)، ح١٤٣٩، عن جابر بلفظه إلا أن في «صحيح مسلم» زيادة هي «فلبث الرجل ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حبلت. فقال: «قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها».

(٢) الواو ساقطة من «ص».

(٣) في «ص»: «المعتادة».

(٤) في «س»: «مختف» وهذا تصحيف.

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤١٦). (قال سهل بن عبد الله: أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء، لا يكون له حركة ولا تدبير) وهذا القول لا يصلح ولا يسوغ على الإطلاق عن أحد من المسلمين وإنما يقال ذلك في بعض المواضع ومع هذا فإنما ذلك لخفاء أمر الله عليه، وإلا فإذا علم ما أمر الله به وأحبه فلابد أن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله.
انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤٨٥).

(٦) في «س»: «عنه».

ما أمر الله به. وأحبه ورضي به، وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوي بين ما فرق الله بينه كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ﴾[5]، وأمثال ذلك، حتى يفضي الأمر بغلاتهم إلى عدم التمييز بين الأمر بالمأمور[6] الإلهي النبوي الفرقاني الديني الشرعي، الذي دل عليه الكتاب والسنة.

وبين ما يكون في الوجود من الأحوال التي تجري على أيدي الكفار والفجار، فيشهدون وجه الجمع من جهة أن[7] الجميع بقضاء الله وقدره وربوبيته وإرادته العامة، وأنه داخل في ملكه، ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه والأبرار والفجار والمؤمنين والكافرين

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢١.
(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.
(٣) سورة القلم، الآية: ٣٥ ـ ٣٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٩ ـ ٢٢.
(٦) في «ص»: «بالأمر».
(٧) في «د»: «كون»، وفي «س» ساقط.

وأهل طاعته[1] الذين أطاعوا[2] أمره الديني[3].

وأهل معصيته الذين عصوا هذا الأمر الديني[4] وهم[5] يستشهدون في ذلك[6] بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ، أو ببعض غلطات بعضهم، وهذا أصل عظيم من أعظم[7] ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين[8] سبيل الإرادة؛ إرادة[9] الذين يريدون وجهه، فإنه قد دخل بسبب إهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يعلمه إلا الله، حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من أهل الظلم والعلو، كالذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من أهل العلو في الأرض والفساد، ظانين أنهم إذا كانت لهم أحوال أثّروا[10] بها في ذلك، كانوا بذلك[11] من أولياء الله، فإن القلوب لها من التأثير أعظم مما للأبدان. لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحًا، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدًا، فالأحوال يكون تأثيرها

---

(١) في «د»: «طاعة».

(٢) في «س»: «طاعوا».

(٣) «الديني» ساقط من «د».

(٤) «الديني» ساقط من «س» و«د».

(٥) «هم» ساقط من «ص» و«س».

(٦) في «س»: «في بعض ذلك».

(٧) قوله: «من أعظم» ساقط من «س».

(٨) في «ص»: «وسالكي».

(٩) «إرادة» ساقط من «ص».

(١٠) في «ص» بياض.

(١١) قوله: «كانوا بذلك» ساقط من «ص» و«س».

محبوبًا لله تارة، ومكروهًا لله أخرى. وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك. وهؤلاء[1] يستشهدون ببواطنهم وقلوبهم[2] الأمر الكوني، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم بكشف يكشف له[3]، أو بتأثير يوافق إرادته، هو كرامة من الله له ولا يعلمون أنه في الحقيقة استدراج[4].

وإنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[5]، فإن كانوا موافقين له فيما أوجبه الله عليهم فهم من المقتصدين، وإن كانوا موافقين فيما أوجبه عليهم[6] وأحبه فهم من المقربين، مع أن كل واجب محبوب، وليس كل محبوب واجبًا[7]. وأما ما يبتلي الله به عبده من السراء[8] بخرق العادة[9] أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه[10]

---

(١) «هؤلاء» ساقط من «ص».

(٢) «وقلوبهم» ساقط من «د».

(٣) قوله: «يكشف له» ساقط من «ص»، وفي «س»: «يكشف لهم».

(٤) «استدراج» ساقط من «س» و«د».

(٥) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٦) «عليهم» ساقط من «د» و«س».

(٧) في «س»: «واجب» وهو خطأ، لأنه خبر ليس وحكمه النصب لا الرفع.

(٨) في «س»: هكذا «الشر» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٩) في «ص»: «عادة».

(١٠) في «ص»: «ولا لهوانه».

عليه، بل قد يسعد بها قوم إذا أطاعوه في ذلك، وقد يشقى بها قوم إذا عصوه في ذلك.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾[1].

ولهذا كان الناس في هذه الأمور على ثلاثة أقسام:

قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة إذا استعملوها في طاعة الله. وقسم يتعرضون بها لعذاب الله إذا استعملوها في معصيته، كبلعام[2] وغيره. وقسم تكون في حقهم بمنزلة المباحات، والقسم الأول: هم المؤمنون حقًّا؛ المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم، الذي إنما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله، أو لحاجة يستعين بها على طاعة الله.

ولكثرة الغلط في هذا الأصل نهى رسول الله ﷺ عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد، فروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان[3]

---

(١) سورة الفجر، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

(٢) هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ في [سورة الأعراف، الآية: ١٧٥] كما قاله ابن عباس وابن مسعود.
انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٧/ ٣١٩)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (٢/ ٢٦٤)، و«جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري: (٥/ ٩/ ٨٢).

(٣) في «س»: «فعلت كذا كان كذا وكذا»، وفي «ص»: «لكان».

كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو[1] تفتح عمل الشيطان»[2]. وفي «سنن أبي داود»[3] أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقضى على أحدهما، فقال المقضي عليه: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»[4].

فأمر النبي ﷺ المؤمن أن يحرص[5] على ما ينفعه، وأن يستعين بالله، وهذا مطابق[6] لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[7]،

---

(١) في جميع النسخ المخطوطة هكذا: «اللو»، والذي أثبته في النص من «صحيح مسلم».

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، ح٢٦٦٤، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٨)، عن أبي هريرة بلفظه.

(٣) هو الإمام الثبت سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، صاحب «السنن»، وُلد سنة اثنتين ومائتين، ومات سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة.
انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٣).

(٤) «مختصر سنن أبي داود» للحافظ المنذري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي: ج٥، كتاب الأقضية، ح٣٤٨٠، عن عوف بن مالك «أن النبي ﷺ قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر، حسبي الله ونعم الوكيل، فقال النبي ﷺ: إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل».
قال محمد حامد الفقي أخرجه النسائي وفي إسناده: بقية بن الوليد وفيه مقال. وكذلك ذكر ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: (أن بقية بنب الوليد فيه مقال). انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١/ ٤٧٥).

(٥) قوله: «أن يحرص» ساقط من «س».

(٦) في «س»: «يطابق».

(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[1]. فإن الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته؛ إذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك، فكل[2] ما يستعان[3] به على الطاعة فهو طاعة[4]، وإن كان من جنس المباح. قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لسعد[5]: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة التي تضعها في في امرأتك»[6]، وأخبر[7] النبي ﷺ أن الله يلوم على العجز الذي هو ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمر بفعله، فإن ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل[8]، وإن كان لا ينافي القدرة المتقدمة[9] التي هي مناط الأمر والنهي،

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٢) في «س» و«د»: «وكل ما».

(٣) في «د»: «استعان».

(٤) في «س»: «على طاعته فهو طاعته».

(٥) هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكنيته أبو إسحاق، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد سائر الغزوات والذي فتح مدائن كسرى يوم القادسية. وقد اعتزل الفتن بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ مات بالعقيق سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، ودُفن بالبقيع.
انظر: «طبقات ابن سعد»: (٣/ ١٠٦)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٨٠).

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الوصية (٢٥)، باب الوصية بالثلث (١)، ح١٦٢٨/ ٥، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ مقارب وفيه: «... ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك» مع زيادة قبل هذا وبعده.

(٧) في «س»: «فأخبر».

(٨) في «س»: «فان».

(٩) في «د»: «المقدمة»، وفي «س» ساقطة.

فإن الاستطاعة التي توجب الفعل، ويكون بها مقارنة له ولا تصلح إلا لمقدورها[1] كما ذكرها[2] في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾[3]، وفي قوله: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[4]، وأما الاستطاعة التي يتعلق بها الأمر والنهي، فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[5]. وقول النبي ﷺ لعمران بن حصين[6]: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا[7]، فإن لم تستطع فعلى جنب»[8].

وهذا الموضع قد انقسم فيه بنو آدم[9] أربعة أقسام: قوم[10] ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لألوهية الرب سبحانه، الذي أمروا أن يعبدوه، ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل

---

(١) في «س»: «المقدورتها».

(٢) في «س»: «ذكره» وهذا خطأ.

(٣) قوله تعالى: ﴿السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ ساقط من «د»، والآية (٢٠) من سورة هود.

(٤) في «س»: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ الآية في سورة الكهف (١٠١).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٦) قوله: «ابن حصين» ساقط من «ص» و«س».

(٧) قوله: «فإن لم تستطع فقاعدًا» ساقط من «س».

(٨) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب تقصير الصلاة (١٩)، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب (١٩)، ح١١١٧، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب».

(٩) في «س» و«د»: «الناس».

(١٠) في «د»: «فقوم».

والاستعانة، وهو حال كثير من المتفقهة المتعبدة، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره، يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان؛ لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له، هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور، ولهذا قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله[1].

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن عمرو[2] «أن رسول الله ﷺ صفته في التوراة إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأمِّيين، أنت عبدي ورسولي[3]، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر[4]، ولن[5] أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح بك[6] أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، بأن يقولوا: لا إله إلا الله»[7].

---

(١) ذكره ابن القيم في «زاد المعاد»: (٢/ ١٣). قال بعض السلف، وذكره . . . إلخ. وذكره ابن رجب مرفوعًا في «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٩) فقال: (وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله») اهـ. ولم أجده عند غيرهما.

(٢) في «ص» و«د»: «عمر» وهو خطأ؛ لأن راوي الحديث هو ابن عمرو بن العاص كما في «صحيح البخاري، وهو الصحابي العابد عبد الله بن عمرو بن العاص، أسلم قبل أبيه وكان كثير العلم كثير الأخذ للحديث عن الرسول ﷺ، شهد فتح الشام واليرموك، توفي عن اثنتين وسبعين سنة. انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٦٥٥)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٥)، و«أسد الغابة» لابن الأثير: (٣/ ٣٤٩).

(٣) قوله: «ورسولي» ساقط من «س».

(٤) «ويغفر» ساقط من «ص».

(٥) في «د»: «ولكن» وهذا تصحيف.

(٦) في «د»: «به».

(٧) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، =

ولهذا روي أن حملة العرش إنما أطاقوا حمل[1] العرش[2] بقولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله[3]. وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ

= كتاب التفسير (٦٥)، سورة الفتح (٤٨)، ح٤٨٣٨، باب ﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا﴾ (٣)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ إن هذه الآية التي في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا﴾ قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا).

(١) في «س»: «حملة»، وفي «د»: «حمله».

(٢) قوله: «العرش» ساقط من «د».

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن»: (١٠/ ٢٩/ ٣٧ ـ ٣٨)، ولفظه: «قال ابن زيد الأربعة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لما خلقهم الله، قال: تدرون لم خلقتكم؟ قالوا: خلقتنا ربنا لما تشاء. قال لهم: تحملون عرشي. ثم قال: سلوني من القوة ما شئتم أجعلها فيكم. فقال واحد منهم: قد كان عرش ربنا على الماء فاجعل في قوة الماء. قال: قد جعلت فيك قوة الماء. وقال آخر: اجعل في قوة السموات. قال: قد جعلت فيك قوة السموات. وقال آخر: اجعل في قوة الأرض. قال: قد جعلت فيك قوة الأرض والجبال. وقال آخر: اجعل في قوة الرياح. قال: قد جعلت فيك قوة الرياح. ثم قال: احملوا، فوضعوا العرش على كواهلهم فلم يزولوا. قال: فجاء علم آخر، وإنما كان علمهم الذي سألوه القوة. فقال لهم: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فجعل الله فيهم من الحول والقوة ما لم يبلغه علمهم فحملوا) اهـ.

وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي عن عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح: (ص٢٤٨) بلفظ مقارب لما ذكره الطبري. وأورده الذهبي في كتاب «العلو» بتحقيق عبد الرزاق عفيفي: (ص٧٦) من طريق عبد الله بن صالح بن معاوية بن صالح عن بعض المشيخة مختصرًا وسكت عنه. وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية هنا بصيغة التمريض فقال: روى أن حملة العرش . . . إلخ. =

«أنها كنز من كنوز الجنة»[1]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا[4] ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[5]: «قالها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم»[6].

---

(١) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب لا حول ولا قوة إلا بالله (٦٧)، ح٦٤٠٩، عن أبي موسى الأشعري قال: أخذ النبي ﷺ في عقبه ـ أو قال في ثنية ـ قال: فلما علا عليها رجل نادى فرفع صوته لا إله إلا الله والله أكبر. قال: ورسول الله ﷺ على بغلته قال: «فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، ثم قال: يا أبا موسى ـ أو يا عبد الله ـ ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب (٤٨)، باب (١٣)، ح٢٧٠٤/٤٧، عن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة ـ أو قال ـ على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣ ـ ١٧٥.

(٤) في «ص»: «حسبي الله» وهو خطأ.

(٥) في «د»: «قال: قالها».

(٦) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب التفسير (٦٥)، سورة آل عمران (٣)، ح٤٥٦٣، باب ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ الآية (١٣)، عن ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل». قالها=

وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق[1] وافتقارهم إليه ويستعينون به، لكن على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه[2] وغضبه ومحبته وبغضه[3]، وهذا حال كثير من المتفقرة[4] والمتصوفة، ولهذا كثيرًا[5] ما يعملون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود ولا يقصدون ما يرضي الرب سبحانه ويحبه[6]، وكثيرًا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته[7] فيعودون إلى تعطيل الأمر والنهي، وقد[8] يُسَمُّون هذا حقيقة[9]، ويظنون أن هذه الحقيقة القدرية يجب الاسترسال معها، دون مراعاة الحقيقة الأمرية الدينية التي هي تحرِّي[10] مرضاة الرب سبحانه وتعالى، ومحبته وأمره ونهيه ظاهرًا وباطنًا، وهؤلاء كثيرًا ما يسلبون أحوالهم، وقد يعودون إلى أنواع[11] من المعاصي والفسوق بل كثيرًا منهم[12] يرتد عن الإسلام؛ لأن العاقبة للتقوى، ومن لم يقف عند

= إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

(١) في «د»: «الخالق».

(٢) قوله: «ورضاه» ساقط من «ص».

(٣) «وبغضه» ساقط من «س» و«د».

(٤) في «س»: «المتفق».

(٥) في «س»: «أكثر».

(٦) في «ص»: «وتحبه» وهذا تصحيف وهو خطأ؛ لعود الضمير على الغائب لا المخاطب.

(٧) في «ص» و«د»: «مرضية»، والكلام لا يستقيم على هذا.

(٨) «قد» ساقط من «س» و«د».

(٩) في «س»: «حقيقته».

(١٠) في «ص»: «تحوي»، وهي ساقطة من «س».

(١١) في «س» و«د»: «نوع».

(١٢) قوله: «كثير منهم» ساقط من «ص».

أمر الله ونهيه فليس من المتقين، فهم يقعون في بعض ما وقع فيه المشركون تارة في[1] بدعة يظنونها شرعية[2]، وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر، والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين في سورة الأنعام والأعراف ذكر ما ابتدعوه في[3] الدين وجعلوه شرعة كما قال تعالى[4]: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ][5]﴾. وقد ذمهم على أن حرموا ما لم يحرم الله، وأن شرعوا ما لم يشرعه[6] الله، وذكر احتجاجهم بالقدر في[7] قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ ﴾[8]، ونظيرها في النحل ويس والزخرف[9]، وهؤلاء يكون فيهم شبه منهم[10] في هذا وهذا.

---

(١) في «س»: «من».

(٢) في «س»: «شرعة».

(٣) في «د»: «من».

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٥) قوله تعالى: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ساقط من «ص» و«س».

(٦) في «د»: «يشرع».

(٧) في «س»: «في قوله لهم».

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٩) الآيات التي ذكر الله فيها احتجاج المشركين بالقدر في سورة النحل (٣٥) قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ ﴾ الآية. وفي سورة يس (٤٧) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾. وفي سورة الزخرف (٢٠) قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾.

(١٠) قوله: «شبه منهم» ساقط من «د».

وأما القسم الثالث: وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به[(١)] فهؤلاء شر الأقسام.

والقسم الرابع: هو القسم المحمود، وهو حال الذين حققوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[(٣)] فاستعانوا[(٤)] به على طاعته وشهدوا أنه إلٰههم الذي لا يجوز أن يعبدوا[(٥)] إلا إياه بطاعته[(٦)] وطاعة رسوله، وأنه ربهم الذي ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع، وأنه: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[(٧)]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[(٨)]، ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾[(٩)].

التوكل المأموربه

ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن

(١) «به» ساقط من «ص».
(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.
(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٤) الفاء ساقطة من «س».
(٥) في «ص»: «يعبد».
(٦) في «س»: «وطاعته».
(٧) سورة فاطر، الآية: ٢.
(٨) سورة يونس، الآية: ١٠٧، وقوله تعالى: ﴿ويصيب به من يشاء من عباده﴾ ساقط من «س» و«د».
(٩) سورة الزمر، الآية: ٣٨، وقوله: ﴿قل حسبي الله﴾ ساقط من «س» و«د».

الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع[1] فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع[2]. فقد تبيَّن أن من ظن التوكل من مقامات عامة أهل الطريق فقد غلط غلطًا عظيمًا[3]، وإن كان قائل ذلك[4] من أعيان المشايخ كصاحب «علل المقامات» وهو من أجل[5] المشايخ[6]، وأخذ ذلك عنه صاحب «محاسن المجالس[7]»[8]، وأظهر[9] ضعف

(١) في «س»: «ما يجتمع».

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٤/ ٢٢٥)، و«فتاوى ابن تيمية رحمه الله تعالى»: (٨/ ١٧٥)، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص٤٥٧). وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص٣٣٢) ما نصه: (منع الأسباب أن تكون أسبابًا قدح في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد، والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسببها وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وهو الكمال. والله أعلم) اهـ.

(٣) في «س» و«د»: «شديدًا».

(٤) قوله: «قائل ذلك» ساقط من «س» و«د».

(٥) في «د»: «أجلاء».

(٦) «علل المقامات» لشيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الحنبلي المتوفى سنة ٤٨١هـ، وُلد سنة ٣٩٧هـ.
انظر: «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»: (٤/ ١١١٨)، و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي: (١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

(٧) في «ص» و«د»: «المحاسن» وهو خطأ وهو تصحيف.

(٨) «محاسن المجالس» في التصوف لأبي العباس ابن عريف أحمد بن محمد الصنهاجي الأندلسي، المعروف بابن العريف المتوفى سنة ٥٣٦هـ بمراكش، وكان مولده سنة ٤٨١هـ. انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة: (٢/ ١٦٠٩)، و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي: (١/ ٨٣).

(٩) في «س» و«ص»: «وظهر».

حجته من[1]، قال ذلك لظنه[2] أن المطلوب به حظ العامة فقط، وظنه أنه لا فائدة له في تحصيل المقصود، وهذه حال من جعل الدعاء كذلك، وذلك بمنزلة من جعل الأعمال المأمور بها كذلك، كمن اشتغل بالتوكل عما يجب عليه من سائر[3] الأسباب التي هي عبادة وطاعة مأمور بها، فإن غلط هذا في[4] ترك الأسباب المأمور بها التي هي داخلة في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[5]، كغلط الأول في ترك التوكل المأمور به؛ الذي هو داخل في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، لكن يقال: من كان توكله على الله ودعاؤه له هو في حصول مباحات فهو من[6] العامة، وإن كان في حصول مستحبات[7] وواجبات فهو من الخاصة، كما أن من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه، ومن أعرض عن التوكل فهو عاص لله[8] ورسوله، بل خارج عن[9] حقيقة الإيمان، فكيف يكون هذا المقام للعامة دون الخاصة[10]. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ[11] إِن

درجات الناس في التوكل

(١) في «ص» و«س»: «فمن».
(٢) في «ص» و«س»: «ظنه».
(٣) قوله: «سائر» ساقط من «س» و«د».
(٤) في «د» و«س»: «من».
(٥) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٦) في «د»: «في».
(٧) في «س»: «المستحبات».
(٨) في «د»: «الله».
(٩) في «س»: «من».
(١٠) قوله: «للعامة دون» ساقط من «د» و«س»، وفي «د»: «للخاصة».
(١١) في «س» و«د»: «لقوم يا قوم» وهو خطأ.

كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٣]، وقد[٤] ذكر الله هذه الكلمة ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ في جلب المنفعة تارة، وفي دفع المضرة تارة أخرى، فالأولى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[٥].

والثانية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾، يتضمن[٨] الأمر بالرضا والتوكل،

الرضا والتوكل يكتنفان المقدور

والرضا والتوكل يكتنفان[٩] المقدور، فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٤) في «د»: «فقد».

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٨) في «ص»: «تضمن» وهذا تصحيف.

(٩) في «د»: «يكشفان» وهذا تصحيف وهو خطأ.

وقوعه، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الصلاة: «اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت[١] الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد[٢] في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفذ، وأسألك قرة عين لا تنقطع، اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، وأسألك الشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[٣] رواه أحمد والنسائي[٤] من حديث عمار بن ياسر[٥].

---

(١) في «د»: «ما كانت».

(٢) في «د»: «الفضل».

(٣) أخرجه النسائي: (٢/ ٥٤ ـ ٥٥) في السهو، باب نوع آخر من الدعاء من حديث حماد قال: حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها، فقال بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة. فقال: أما على ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ . . . إلخ. وصححه الحاكم: (١/ ٥٢٤)، ووافقه الذهبي. وأخرجه الإمام أحمد: (٤/ ٢٦٤)، بلفظه عن عمار.

(٤) النسائي هو الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، القاضي، صاحب السنن، وُلد سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: مات بمكة، في شعبان سنة ثلاث وثلاث مائة. وقيل: توفي بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاث مائة.
انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٢/ ٦٩٨ ـ ٧٠١).

(٥) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن مالك، كنيته أبو اليقظان، قتل بصفين مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين، وله ثلاث وتسعون سنة، وكان قد قال له النبي ﷺ: «يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية». انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٣). =

وأما ما يكون قبل القضاء، فهو عزم على الرضا لا حقيقة الرضا. ولهذا كان طائفة من المشايخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء؛ فإذا وقع انفسخت عزائمهم[1]، كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره، كما قال

---

(١) يذكر عن سمنون المحب أنه كان يقول:

وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني

فأخذه العسر من ساعته، أي: حصر بوله، فكان يدور على المكاتب ويفرق الجوز على الصبيان ويقول: ادعوا لعمكم الكذاب.

وحكى أبو نعيم الأصبهاني عن أبي بكر الواسطي أنه قال سمنون: يا رب قد رضيت بكل ما تقتضيه علي، فاحتبس بوله أربعة عشر يومًا، فكان يتلوى كما تتلوى الحية، يتلوى يمينًا وشمالاً، فلما أطلق بوله قال: رب قد تبت إليك. قال أبو نعيم: فهذا الرضا الذي ادعى سمنون ظهر غلطه فيه بأدنى بلوى. مع أن سمنون هذا كان يضرب به المثل وله في المحبة مقام مشهور.

انظر: «فتاوى ابن تيمية»: (١٠/ ٦٩٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١٠/ ٣١٠)، و«الرسالة القشيرية»: (١/ ١٣٣).

وقد أخرج مسلم في «صحيحه»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، ح٢٦٨٨/ ٢٣، عن أنس، أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم. كنت أقول: اللهم! ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟ قال: فدعا الله له فشفاه».

وفي «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب المغازي (٦٤)، باب (٥٦)، ح٤٣٢٥، عن عبد الله بن عمر قال: «لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف، فلم ينل منهم شيئًا، قال: إنا قافلون إن شاء الله، فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ وقال مرة: نقفل، فقال: اغدوا على القتال فغدوا فأصابهم جراح، فقال: إنا قافلون غدًا إن شاء الله، فأعجبهم فضحك النبي ﷺ. وقال سفيان مرة فتبسم».

تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2].

نزلت هذه الآية لما قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله آية الجهاد فكرهه من كرهه[3]، ولهذا كره للمرء أن يتعرض للبلاء، بأن يوجب على نفسه ما لا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك، أو يطلب ولاية، أو يقدم على بلد فيه طاعون، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ من غير وجه أنه نهى عن النذر، وقال: «إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به[4] من[5] البخيل»[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الصف، الآيات: ٢ ـ ٤.

(٣) انظر: «جامع البيان» للطبري: (١٢/ ٢٨/ ص٥٥) سورة الصف.
وانظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (٤/ ٣٥٨).
وقد أخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب التفسير (٤٨)، باب (٦٢) في تفسير سورة الصف، ح٣٣٠٩، عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعلمناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ . . . إلخ الحديث.

(٤) «به» ساقط من «س».

(٥) «من» ساقط من «د».

(٦) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب الوفاء بالنذر، وقول الله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ (٢٦)، ح٦٦٩٢، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: أولم ينهوا=

وثبت في «الصحيحين» أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة[١]: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أعطيتها من[٢] غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت[٣] غيرها خيرًا منها فأت الذي هو خير[٤] وكفر عن يمينك»[٥].

وثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال في الطاعون: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها[٦] فرارًا[٧] منه»[٨].

= عن النذر؟ إن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخر، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل».

وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب النذور (٢٦)، باب (٢)، ح١٦٣٩/ ٤، عن عبد الله بن عمر بلفظه.

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي أبو سعيد، مات سنة خمسين.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٥).

(٢) في «د»: «عن».

(٣) في «د»: «ورأيت».

(٤) في «س»: «خير منها».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب (٨٣)، باب (١)، ح٦٦٢٢، عن عبد الرحمن بلفظ نحوه.
وفي «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب (٣)، ح١٦٥٢/ ١٣، عن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه إلا أن قوله: «وإذا حلفت على يمين». وما بعده لم ترد في «صحيح مسلم» وهي في «صحيح البخاري».

(٦) قوله: «منها» ساقط من «ص».

(٧) قوله: «فرارًا منه» ساقط من «س».

(٨) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: =

وثبت في «الصحيحين» أنه قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا[1] لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[2].

وأمثال ذلك مما يقتضي[3] أن الإنسان لا ينبغي له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء ويحرم عليه أشياء، فيبخل بالوفاء كما يفعله كثير ممن يعاهد الله عهودًا على أمور. وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود. ويقتضي أن الإنسان إذا ابتلي فعليه أن يصبر ويثبت، ولا يكل[4] حتى يكون من الرجال الموقنين[5] القائمين بالواجبات. ولابد في جميع ذلك من الصبر.

ولهذا كان الصبر واجبًا باتفاق المسلمين على أداء الواجبات، وترك المحظورات.

= ج٦، كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠)، باب (٥٤)، ح٣٤٧٣، عن أسامة بن زيد بلفظه إلا أن في أوله قوله: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل ـ أو على من كان قبلكم ـ فإذا . . . إلخ» الحديث.

(١) في «د»: «ولكن إذا لقيتموهم».

(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الجهاد (٥٦)، باب (٥٦)، ح٢٩٦٦، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (١١٢)، بلفظ مقارب مع زيادة في أوله وآخره.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجهاد والسير (٣٢)، باب (٦)، ح١٧٤٢/ ٢٠، عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ بلفظه إلا أن فيه «يا أيها الناس لا تمنوا . . .» إلخ. الحديث.

(٣) في «س»: «مما لا يقتضي» وهذا خطأ واضح.

(٤) في «د»: «ولا ينكل»، وفي «س»: «ولايتكل»، وفي الحاشية تصحيح له هكذا: «يتكلم».

(٥) في «س»: «المؤمنين».

ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها[1]، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه. وقد ذكر الله سبحانه الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[2]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4]، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ﴾[5]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[6].

وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[7].

فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لابد فيه من اليقين[8] والصبر، بل وطلب علمه[9] يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: «عليكم بالعلم، فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية،

---

(١) في «د»: «يعجز فيها».
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.
(٤) سورة هود، الآيتان: ١١٤ ـ ١١٥.
(٥) سورة طه، الآية: ١٣٠.
(٦) سورة غافر، الآية: ٥٥.
(٧) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٨) «اليقين» ساقط من «س» و«د».
(٩) في «د»: «علمه بالعلم».

والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا[1] يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح. به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقوامًا يجعلهم[2] للناس قادة وأئمة يهتدون[3] بهم، وينتهون إلى رأيهم[4][5] فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولابد في الجهاد من الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[7].

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول الضلال، وضد الثاني الغي. فالضلال العمل بغير علم، والغي اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[8]، فلا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر، ولهذا قال

---

(١) «لا» ساقطة من «س».

(٢) في «ص»: «فجعلهم».

(٣) في «د»: «يقتدون».

(٤) في «ص»: «بهم» وهذا تصحيف.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ٢٣٩)، و«أخلاق العلماء» لأبي بكر الآجري: (ص١٨، ١٩).
وأخرجه ابن عبد البر في كتابه المسمى «جامع بيان العلم وفضله»: (١/ ٦٥)، ولكنه ذكره بإسناده إلى معاذ بن جبل مرفوعًا إلى النبي ﷺ ثم قال ابن عبد البر بعد ذلك: (هكذا حدثنيه أبو عبيد بن محمد رحمه الله بالإسناد المذكور وهو حديث حسن جدًا. ولكن ليس له إسناد قوي. ورويناه من طرق شتى موقوفًا) اهـ.

(٦) سورة العصر.

(٧) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٨) سورة النجم، الآيتان: ١ ـ ٢.

علي[1] ـ رضي الله عنه ـ: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد ـ ثم رفع صوته ـ فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له)[2].

وأما الرضا فقد تنازع العلماء والمشايخ من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضاء بالقضاء، هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين، فعلى الأول يكون من أعمال[3] المقتصدين، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين.

قال الحسن البصري: الرضاء عزيز لكن الصبر معول المؤمن[4].

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس: «إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»[5].

---

(١) «علي» ساقط من «س».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني: (١/ ٧٦)، و«الرسالة القشيرية»: (١/ ٤٥٤).

(٣) في «د»: «من فعل».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني: (١/ ٥/ ٣٤٢). ونصه هناك عن الحسن قال: (الرضا قليل، والصبر معول المؤمن). وفي «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٠/ ٦٨٢) كتاب علم السلوك. قال الحسن: (الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن). وفي «الزهد» للإمام أحمد: (ص٣٥٧)، قال عمر بن عبد العزيز: (الرضا قليل ولكن الصبر معول المؤمن).
والحسن البصري هو الحسن بن أبي الحسن، ويكنى أبا سعيد، من علماء التابعين، جمع بين العلم والعمل والعبادة، وهو إمام البصرة، وقد أدرك من الصحابة مائة وثلاثين، وُلد لسنتين بقيتا من خلالة عمر، وتوفي سنة عشر ومائة.
انظر: «حلية الأولياء»: (٢/ ١٣١)، «طبقات ابن سعد»: (٧/ ١٥٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير: (٩/ ٢٦٨ ـ ٢٧٤).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني: (١/ ١/ ٣١٤)، ولفظه هنا: «فاعمل لله=

ولهذا لم يجيء في القرآن إلا مدح الراضين، لا إيجاب ذلك، وهذا في الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال، كما قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾[2].

فالبأساء في الأموال، والضراء في الأبدان، والزلزال في القلوب.

وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب، وهو من الإيمان، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًا»[3]، وهو من توابع المحبة كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

= تعالى بالرضا في اليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا».

وقوله: «كثيرًا» ساقط من «س».

وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١/ ٣٠٧)، بلفظ مقارب وفيه: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا» مع إسقاط قوله: «فاعمل لله تعالى بالرضا في اليقين».

وفي «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (٢/ ٣٨ ـ ٣٩): «الرضا هو حال الموفق، واليقين هو حقيقة الإنسان، وإلى هذا ندب النبي ﷺ ابن عباس في وصيته له فقال: اعمل لله باليقين في الرضا، فإن لم يكن فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا».

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧، وهذه الآية ساقطة من «ص».

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًا .. إلخ (١١)، ح٣٤، عن العباس بن عبد المطلب بلفظه إلا أن بدل قوله: «نبيًا» قوله: «رسولاً».

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[4].

ومن النوع الأول ما رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن سعد[5] عن النبي ﷺ أنه قال: «من[6] سعادة ابن آدم استخارته لله، ورضاه بما قسم[7] الله له، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارته لله، وسخطه بما يقسم[8] الله له»[9]. وأما الرضا بالمنهيات ـ من الكفر والفسوق والعصيان ـ فأكثر

---

(1) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(2) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

(3) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(4) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(5) في «س»: «سعيد» وهو خطأ؛ لأنه سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وهذا تصحيف.

(6) «من» ساقط من «س».

(7) في «د»: «يقسم».

(8) في «ص»: «قسم».

(9) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١/١٦٨)، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه لما قضى الله عز وجل». =

العلماء يقولون: لا يشرع الرضا بهذه[1] كما لا يشرع[2] محبتها، فإن الله سبحانه لا يحبها ولا يرضاها، وإن كان قد[3] قدرها[4] وقضاها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[6]، بل يسخطها كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[7].

وقال طائفة: ترضى من جهة كونها مضافة إلى الله خلقًا، وتسخط من جهة كونها مضافة إلى العبد فعلاً وكسبًا، وهذا القول لا ينافي الذي قبله بل هما يعودان إلى أصل واحد. وهو سبحانه إنما قدر الأشياء وكونها لحكمة، فهي لاعتبار[8] تلك الحكمة محبوبة مرضية، وقد تكون في

= وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٣ ، كتاب القدر (٣٠)، ح٢٢٤٢، باب ما جاء في الرضا بالقضاء (١٥)، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ مقارب وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم المديني، فليس هو بالقوي عند أهل الحديث.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٥١٨/١)، في كتاب الدعاء عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارته إلى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله». قال الحاكم: صحيح. وأقره الزهبي.

(١) في «س»: «لهذه».
(٢) في «ص» و«د»: «يشرع».
(٣) «قد» ساقط من «ص».
(٤) في «ش»: «قدر لها».
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.
(٦) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٧) سورة محمد، الآية: ٢٨.
(٨) في «د»: «باعتبار».

نفسها مكروهة[1] ومسخوطة، إذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان: يحب من أحدهما ويكره من الآخر، كما في الحديث الصحيح: «ما ترددت عن[2] شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه»[3].

---

(١) الواو ساقطة من «ص».

(٢) في «س» و«ش»: «في».

(٣) سبق تخريجه في (ص٣١٤) وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عن معنى تردد الله في هذا الحديث؟ فأجاب: هذا حديث شريف رواه البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وهو أشرف حديث روى في صفة الأولياء. وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله عالم بالعواقب. وربما قال بعضهم: إن الله يعامله معاملة المتردد. والتحقيق: أن كلام رسول الله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح لأمته منه، ولا أفصح ولا أحسن بيانًا منه، فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوأهم أدبًا، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة. والمتردد منا ـ وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور ـ لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا، فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله به، كالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه، فصار الموت مرادًا للحق من وجه مكروهًا له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وإن كان لابد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته، كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ولا يريده) انتهى كلامه رحمه الله بتصرف.

انظر: «الرسالة المدنية» لابن تيمية: (ص٢٠ ـ ٢٢).

وأما من قال بالرضا بالقضاء الذي هو وصف الله وفعله لا بالمقضي[1] الذي هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام، فإن الكلام ليس في الرضا بما[2] يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله، وإنما الكلام في الرضا بمفعولاته. والكلام[3] فيما يتعلق بهذا قد بيناه في غير هذا الموضع[4].

والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد، حتى إن[5] بعضهم فسر الحمد بالرضا.

ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال، وذلك يتضمن الرضا بقضائه، وفي الحديث: «أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء»[6]، وروي عن النبي ﷺ أنه «كان إذا أتاه الأمر يسر به[7] قال: الحمد لله الذي بنعمته[8] تتم الصالحات، وإذا أتاه

---

(١) في «س»: «بالمقتضي» وهو خطأ.

(٢) قوله: «في الرضا بما» ساقط من «ش».

(٣) قوله: «والكلام» ساقط من «ش».

(٤) انظر على سبيل المثال: «فتاوى ابن تيمية»: (١١/ ٦٨٢).

(٥) قوله: «الحمد حتى أن» بياض في «د».

(٦) أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير»: (١/ ١١٣)، وعزاه إلى الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الشعب»، عن ابن عباس، وقال عنه: حسن. وتعقبه الألباني فقال: ضعيف. انظر: «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: (٢/ ٢٤٠، رقم٢١٤٦). وخرجه في «الأحاديث الضعيفة»: (٢/ رقم٦٢٣).
وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٠٢)، كتاب الدعاء، وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(٧) في «د»: «بشر به» وهو خطأ.

(٨) في «د»: «بنعته».

الأمر يسوؤه[1] قال: الحمد لله على كل حال»[2].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي موسى الأشعري[3] عن النبي ﷺ قال: «إذا قبض ولد العبد يقول الله لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول: ابنوا[4] لعبدي بيتًا في الجنة وسموه[5] بيت الحمد»[6].

ونبينا محمد ﷺ هو صاحب لواء الحمد[7]، وأمته هم الحمادون،

---

(١) في «د»: «بسوء».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٤٩٩)، في كتاب الدعاء، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقال: صحيح. وسكت عنه الذهبي.

(٣) هو أبو موسى الأشعري؛ عبد الله بن قيس بن وهب الصحابي، ولي الكوفة والبصرة زمانًا، مات سنة أربع وأربعين، وهو ابن بضع وستين سنة.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٣٦).

(٤) في «ش»: «ابن».

(٥) الواو ساقط من «ش».

(٦) «مسند الإمام أحمد»: (٤/ ٤١٥)، عن أبي موسى الأشعري بلفظ نحوه.
وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٣، كتاب الجنائز (٨)، باب (٣٦)، ح١٠٢١، عن أبي موسى الأشعري بلفظ نحوه. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٧) أخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب المناقب (٥٠)، باب (١)، ح٣٦١٥، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تشقق عنه الأرض ولا فخر».
قال أبو عيسى: وفي الحديث قصة، وهذا حديث حسن صحيح.
وهو في «المستدرك» للحاكم: (١/ ٣٠)، كتاب الإيمان، بلفظ غير هذا ذكر فيه: «وأنا معي لواء الحمد». وقال: صحيح. وأقره الذهبي.

الذين يحمدون الله على السراء والضراء[١]، والرضا[٢] والحمد على الضراء يوجبه[٣] مشهدان[٤]:

أحدهما: علم العبد بأن الله[٥] سبحانه وتعالى مستوجب لذلك، مستحق له لنفسه فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم[٦] الخبير الرحيم.

والثاني: علمه أن[٧] اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه، كما روى مسلم في «صحيحه» وغيره عن النبي ﷺ أنه[٨] قال: «والذي نفسي بيده، لا يقضي للمؤمن قضاءً[٩] إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد[١٠] إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر[١١] فكان[١٢] خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر[١٣] فكان[١٤] خيرًا له»[١٥].

---

(١) في «س» و«ص» و«د»: «على الضراء والسراء».

(٢) قوله: «والرضا» ساقط من «د».

(٣) قوله: «يوجبه» ساقط من «د».

(٤) في المطبوعة (ص٥٥): «شاهدان»، وهو خطأ.

(٥) قوله: «بأن الله» بياض في «د».

(٦) قوله: «الحكيم» ساقط من «س».

(٧) في «د»: «بأن».

(٨) «أنه» ساقط من «د».

(٩) في «س» و«ش»: «بقضاء».

(١٠) «لأحد» ساقط من «ش» و«س».

(١١) في «س» و«ش»: «فشكر».

(١٢) في «س» و«ش»: «كان».

(١٣) في «س» و«ش»: «فصبر».

(١٤) في «س» و«ش»: «كان».

(١٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، باب المؤمن أمره كله خير (١٣)، ح٢٩٩٩، عن صهيب قال: قال رسول الله=

فأخبر النبي ﷺ أن[1] كل قضاء يقضيه الله[2] للمؤمن الذي يصبر على البلاء ويشكر على الرخاء فهو خير له. قال الله[3] تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[4]، وذكرهما في أربعة مواضع[5] من كتابه.

فأما من لا يصبر على البلاء، ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيرًا له.

ولهذا أجيب[6] من أورد على[7] هذا بما[8] يقضي[9] على المؤمن من المعاصي بجوابين:

أحدهما: أن هذا إنما يتناول ما أصاب العبد لا ما فعله العبد، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، أي: من سراء ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[10]، أي: من ضراء[11]، وكقوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[12]، أي: بالسراء والضراء، كما قال

= ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له».

(١) في «س» و«ش»: «أنه».
(٢) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«ش».
(٣) لفظ الجلالة ساقط من «ص» و«د» و«س».
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٥، وسورة لقمان، الآية: ٣١، وسورة سبأ، الآية: ١٩، وسورة الشورى، الآية: ٣٣.
(٥) في «د»: «في كتابه».
(٦) في «س» و«ش»: «أجبت».
(٧) في «د»: قدم «هذا» قبل «على».
(٨) في «س»: «إنما»، وفي «د»: «ما».
(٩) في «د»: «يقضي به».
(١٠) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(١١) في «س»: «ضر».
(١٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم[1] بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ﴾[3]. فالحسنات والسيئات يراد بها المساء والمضار، ويراد[4] بها الطاعات[5] والمعاصي.

والجواب الثاني: أن هذا في حق المؤمن الصّبار[6] الشكور. والذنوب تنقص الإيمان[7]، فإذا تاب العبد أحبه[8] الله، وقد ترتفع درجته بالتوبة. كما[9] قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة[10]. فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: إن العبد

---

(١) سورة «س»: «وبلوناهم» وهو خطأ واضح.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥، وقوله تعالى: ﴿وإلينا ترجعون﴾ ساقط من «ص» و«ش» و«د».

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٤) الواو ساقط من «س».

(٥) في «س»: «الطاعة».

(٦) في «ص»: «الصابر».

(٧) في «د» زيادة واو هكذا: «والإيمان» وهو خطأ واضح.

(٨) في «س»: «حبه» بإسقاط الألف.

(٩) «كما» ساقط من «د» و«ش» و«س».

(١٠) في «د»: «من قبل» ووقع بعض المفسرين في خطأ فاحش عند كلامهم عن خطيئة داود التي تاب منها، حين نقلوا بعض القصص الإسرائيلية في تفاسيرهم اعتمادًا على ما يرويه القصاص عن أهل الكتاب، مما لم يصح به سنده، ولا يجوز اعتماده، ويتنافى مع عصمة الأنبياء، وتلك القصة الباطلة التي أوردوها؛ ما روي عن داود عليه السلام من أمر عشقه لزوجة أحد جنده وتعريض زوجها للقتل، حتى قتل ثم تزوجها بعد ذلك فولدت له سليمان عليه السلام وهذا زور وافتراء، ولذلك قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة.
والصحيح في موضوع القصة هو ما حكاه الله عز وجل في كتابه الذي لا يأتيه الباطل. والله تعالى أعلم. انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٥/ ١٨١)، و«تفسير ابن كثير»: =

ليعمل الحسنة فيدخل[1] بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة[2]. وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه[3] ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه[4] فيستغفر الله ويتوب إليه منها.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «الأعمال بالخواتيم»[5]، والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع

= (٤/ ٣١)، و«صفوة التفاسير» للصابوني: (٣/ ٥٤ ـ ٥٥)، و«النبوة والأنبياء» للصابوني: (ص٢٧٨ ـ ٢٨١).

(١) في «س»: «يدخل».

(٢) انظر: «فتاوى ابن تيمية»: (١٠/ ٢٩٤)، وفي كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيم: (ص٢١٦): (وقال بعض السلف: إن العبد ليعمل الخطيئة فيدخل بها الجنة ويعمل الحسنة فيدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه إذا ذكرها ندم واستقال وتضرع إلى الله وبادر إلى محوها، وانكسر وذل لربه، وزال عنه عجبه وكبره. ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يراها، ويمن بها ويعتد بها ويتكبر بها، حتى يدخل النار).
وفي كتاب «الزهد» للإمام أحمد (ص٤٧٤): (عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة، قالوا: يا رسول الله، وكيف يدخله الجنة؟ قال: يكون نصب عينه فارًّا تائبًا حتى يدخله ذنبه الجنة».

(٣) في «س» و«د» و«ش»: «عينه».

(٤) في «س» و«د» و«ش»: «عينه».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب الأعمال بالخواتم وما يخاف منها (٣٣)، ح٦٤٩٣، عن سهل بن سعد الساعدي قال: «نظر النبي ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم ـ فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا، فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ إن العبد ليعمل ـ فيما يرى الناس عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل ـ فيما يرى الناس ـ عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها». =

عنه[1] بعشرة أسباب: أن يتوب، فيتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، أو يستغفر الله فيغفر له[2]، أو يعمل حسنات تمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون[3] له حيًّا وميتًا، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به، أو يشفع فيه نبيه محمد ﷺ، أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تكفر عنه، أو يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة[4] فيكفر بها عنه، أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما[5] يكفر عنه، أو يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومنَّ إلا نفسه، كما قال تعالى فيما يروي[6] عنه رسوله ﷺ: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها[7]، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»[8].

---

(1) «عنه» ساقط من «ص».

(2) في «ش»: «فيغفر الله له».

(3) في «ص» و«ش»: «ويشفعون»، وفي «س»: «أو يشفعوا».

(4) في «س» و«د» و«ش»: «والصعقة».

(5) في «د» و«ش»: «ما».

(6) في «ص»: «يرويه»، وفي «س» و«ش»: «روى».

(7) في جميع النسخ عبارة: «ترد عليكم» بعد قوله: «أعمالكم»، والذي وجدته في مسلم ومطبوعة الخطيب: (ص٥٦) هو ما أثبته في النص، وهو قوله: «أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها».

(8) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة والآداب (٤٥)، باب تحريم الظلم (١٥)، ح٢٥٧٧، عن أبي ذر بلفظه، وهو حديث طويل مشهور ولم يورده الشيخ من أوله.

فإذا كان المؤمن يعلم أن القضاء خير له، إذا كان صبارًا شكورًا، أو كان قد استخار الله تعالى، وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له، كان قد رضي بما هو خير له. وفي الحديث عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: (إن الله يقضي بالقضاء، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)[1]. ففي هذا الحديث الرضا والاستخارة، فالرضا[2] بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء، وهذا أكمل من الضراء[3] والصبر، فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفي هذا الصبر. ثم إذا كان القضاء مع الصبر خيرًا له فكيف مع الرضا، ولهذا جاء في الحديث: «المصاب من حرم الثواب» في الأثر الذي رواه الشافعي[4] في «مسنده»: «أن النبي ﷺ لما مات سمعوا قائلاً يقول: يا آل بيت رسول الله ﷺ، إن في الله عزاء من

(١) لم أجده عن علي ـ رضي الله عنه ـ، ووجدت في «سنن الترمذي»: ج٤، في كتاب الزهد (٥٥)، باب (٥٦)، ح٢٣٩٦، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي له الرضا ومن سخط فله السخط» وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وكذلك أخرجه ابن ماجه في «سننه»: (٢/ . . . ، ح٤٠٣١)، كتاب الفتن (٣٦)، باب (٢٣)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بلفظ الترمذي.

(٢) في «د»: «الرضا».

(٣) في مطبوعة قصي محب الدين الخطيب (ص٥٧): «الرضا»، وفي مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٤٦) كما أثبتنا في النص.

(٤) والشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، وُلد سنة ١٥٠هـ، وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة بمكة، وعلى مالك بالمدينة، ألف الشافعي رسالة في الأصول، وهو أول من صنف في هذا العلم توفي رحمه الله سنة ٢٠٤هـ. انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي: (١/ ١٩٠)، و«صفة الصفوة»: (٣/ ٣٤٨)، و«الوفيات»: (١/ ٥٦٥)، و«تاريخ بغداد»: (٣/ ٥٦).

كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب»[1]. ولهذا لم[2] يؤمر بالحزن المنافي للرضا قط، مع أنه لا فائدة فيه فقد[3] يكون مضرة، ولكنه يعفى عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله[4]، لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة له[5] حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظ الحي[6] منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى على الميت وقال: «إن هذه رحمة جعلها[7] الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[8]. وأن[9] هذا[10] ليس كبكاء من يبكي على فوات حظه[11] لرحمة الميت، وقد قيل: إن[12] الفضيل بن عياض[13] لما مات

(١) في «مسند الإمام الشافعي»: (ص٣٦١)، كتاب الجنائز والحدود.

(٢) في «س» و«ش»: «نؤمر»، وفي «د»: «يأمر».

(٣) في «ص»: «قد».

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «ش».

(٥) «له» ساقط من «ش» و«د» و«س».

(٦) في «س» و«د» و«ش»: «حظ منه».

(٧) في «ص»: «فإن».

(٨) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الجنائز (٢)، باب البكاء على الميت (٦)، ح٩٢٣، عن أسامة بن زيد بلفظه وهذا آخر الحديث مع إسقاط «إن».

(٩) في «ص»: «فإن».

(١٠) «هذا» ساقط من «د».

(١١) في «س» و«د» و«ش» قوله: «لحظه» بدلاً من قوله: «على فوات حظه».

(١٢) في «س» و«د» و«ش»: «وإن الفضيل».

(١٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، اليربوعي، يكنى أبا علي، الزاهد، الخراساني، وُلد بها، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد، وانتقل إلى=

ابنه (علي) ضحك[1] وقال: رأيت أن الله تعالى قد قضى بقضاء، فأحببت أن أرضى بما قضى الله به[2]. [ويحكى أن رجلاً عزى الحسن بن علي[3] في ولد له مات وأطنب في مدحه ووصف شمائله فقال له الحسن: (إذا أحب الله ما تكره فيمن نحب رضينا) فهذه][4] الحالة[5] حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع. وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي ﷺ فهذا أكمل[6]، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[7] [فذكر سبحانه تعالى التواصي بالصبر والمرحمة][8].

= مكة وأقام بها إلى أن مات في أول سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: مات سنة ست وثمانين ومائة، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابدًا ورعًا. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧)، و«صفة الصفوة»: (٢/ ٢٣٧ـ٢٤٧)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (٤/٨/ ٨٤ـ١٣٩).

(١) في «س» و«د» و«ش»: «فضحك».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم: (٤/٨/ ١٠٠)، ونصه فيها: (عن أبي علي الرازي قال: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكًا ولا متبسمًا إلا يوم مات ابنه «علي» فقلت له في ذلك فقال: إن الله عز وجل أحب أمرًا فأحببت ما أحب الله». وانظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٦٤).

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، كنيته أبو محمد، سم حتى نزل كبده، ومات بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وصلى عليه سعيد بن العاص، ودُفن في بقيع الغرقد. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٧).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«د» و«ش»، ولم أستطع توثيق هذا القول.

(٥) في «س» و«د» و«ش»: «حاله» وهذا تصحيف.

(٦) «أكمل» ساقط من «د»، و«كما» ساقط من «ص» و«س» و«ش».

(٧) سورة البلد، الآية: ١٧.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

والناس[١] أربعة أقسام: منهم من يكون فيه صبر بقسوة، ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع، ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع، والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه[٢] ويرحم الناس. وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب: أن الرضا عن الله من توابع المحبة له، وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول: وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه، بخلاف المأخذ الثاني: وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له. ثم إن[٣] المحبة متعلقة به، والرضا متعلق بقضائه.

ولكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه: أن المحبة لله تعالى نوعان: محبة له نفسه، ومحبة له، لما منه[٤] من الإحسان. وكذلك الحمد له[٥] نوعان: حمد له على ما يستحقه[٦] بنفسه[٧]، وحمد له[٨] على إحسانه[٩] إلى عبده.

فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة. فأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة، ولهذا ذكر النبي ﷺ [ذوق طعم الإيمان كما ذكر

---

(١) في حاشية «ص» تصحيح بعبارة هي: «لعله في هذا المقام»، فتكون العبارة: «والناس في هذا المقام أربعة أقسام».

(٢) قوله: «على ما يصيبه» ساقط من «ص».

(٣) «إن» ساقط من «د».

(٤) في «د»: «فيه».

(٥) «له» ساقط من «س».

(٦) في «د»: «تستحقه».

(٧) في «د»: «نفسه».

(٨) «له» ساقط من «د» و«س» و«ش».

(٩) في «ص»: «الإحسان».

في المحبة وجود حلاوة الإيمان، وهذان الحديثان الصحيحان هما أصل فيما يذكر من الوجد والذوق الإيماني الشرعي دون الضالي البدعي، ففي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ][1] أنه قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا»[2].

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن[3] حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ[4] أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى[5] في النار»[6].

وهذا إنما يتبين[7] بالكلام على المحبة فنقول:

* * *

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «د» و«س» و«ش».

(٢) سبق تخريجه (ص٣٩٠).

(٣) «بهن» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٤) في «س»: «إن».

(٥) في «ش»: «يقذف».

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج، كتاب الإيمان (١)، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١٥)، ح٤٣، عن أنس بلفظه، وكذلك «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب حلاوة الإيمان (٩)، ح١٦، عن أنس بلفظ مقارب.

(٧) في «س» و«ش»: «يَبِين».

فصل

محبة الله، بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبته، إما عن محبة[1] محمودة أو عن محبة مذمومة، كما قد بسطنا ذلك في «قاعدة المحبة»[2] من القواعد الكبار، فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هو محبة الله سبحانه وتعالى[3]؛ إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحًا[4]، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية[5] لا تصدر إلا عن محبة الله تعالى. فإن الله تعالى لا يقبل[6] من العمل إلا ما أريد به وجهه، كما ثبت في «الصحيح» عن

---

(١) قوله: «أما عن محبة» ساقط من «ص».

(٢) قاعدة «المحبة» التي أشار إليها شيخ الإسلام لا تزال مخطوطة ضمن مخطوطات جامعة الإمام محمد بن سعود مصورة عن الظاهرية، وأخبرني الدكتور/ محمد رشاد سالم أنه يقوم بتحقيقها ضمن كتابه «جامع الرسائل» لابن تيمية، والكلام الذي أشار إليه ابن تيمية في أول صفحة من المخطوط وهي نسخة فريدة ورقمها في قسم المخطوطات بالجامعة (٩٣٣) فيلم.

(٣) في «د» بعد قوله: «سبحانه وتعالى» قوله: «فإن الله تعالى»، ولا يستقيم الكلام بإثباته.

(٤) في «س»: «صالح» وهو خطأ؛ لأنه وصف لخبر كان المنصوب، فحكمه النصب.

(٥) في «س» و«د» و«ش»: «الدينية الإيمانية».

(٦) في «س» و«ش»: «يتقبل».

النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء[1]، وهو كله للذي أشرك»[2].

وقد[3] ثبت في «الصحيح» حديث الثلاثة الذين هم «أول من[4] تسعر بهم جهنم: القارىء المرائي، والمجاهد المرائي، والمتصدق المرائي»[5].

---

(١) في «س»: «بريء منه».

(٢) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الزهد (٥٣)، باب من أشرك في عمله غير الله (٥)، ح٢٩٨٥، عن أبي هريرة بلفظ مقارب.

(٣) «قد» ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٤) في «د» بدل «من» كلمة: «ثلاثة».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٤٣)، ح١٩٠٥، ولفظه في مسلم عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها. قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».
وابن تيمية رحمه الله أشار إلى معنى الحديث ولم يورد اللفظ كما هو واضح من سياق الكلام.

بل إخلاص الدين لله تعالى هو الدين الذي لا يقبل[1] الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة[2] أهل[3] الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه، قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[4]. والسورة كلها عامتها في هذا المعنى كقوله[5]: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[6] إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[7] إلى قوله: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[8] إلى قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) في «س» و«ش»: «يتقبل».
(٢) في «ص»: «جميع».
(٣) «أهل» ساقط من «د».
(٤) سورة الزمر، الآيات: ١ ـ ٣.
(٥) في «س» و«ش»: «في قوله».
(٦) سورة الزمر، الآيات: ١١ ـ ١٥.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٣٦.
(٨) سورة الزمر، الآية: ٣٨، وقوله تعالى: ﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ ساقط من «س» و«ش».

وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[1] إلى قوله: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2] إلى قوله: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[3]، وقال تعالى فيما قصه[4] من قصة آدم وإبليس أنه قال: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ[7] هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[8]، فبيَّن[9] أن سلطان الشيطان وإغواءه[10] إنما هو لغير المخلصين.

ولهذا قال في قصة يوسف: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾[11]، وأتباع الشيطان هم أهل النار، كما قال

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ٤٣ ـ ٤٥.

(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٦٤ ـ ٦٥

(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٦.

(٤) قوله: «فيما قصه» ساقط من «ص»، وفي «ص» و«د»: «في» بدلاً عن «من».

(٥) سورة ص، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.

(٦) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

(٧) «هم» ساقط من «ش».

(٨) سورة النحل، الآيتان: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٩) في «س» و«ش»: «فتبين».

(١٠) «وإغواءه» ساقط من «د»، وهي في «س»: «واغتراءه».

(١١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ[1] مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3]، وهذه الآية في حق من لم يتب، ولهذا خصص الشرك وقيد[4] ما سواه بالمشيئة[5]، فأخبر أنه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه، وما دونه يغفره لمن يشاء، وأما قوله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[6] فتلك في حق التائبين، ولهذا عمم[7] وأطلق.

وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها[8]، وقد أخبر سبحانه أن الأولين والآخرين إنما أمروا بذلك في غير موضع، كالسورة التي قرأها

---

(١) «جهنم» ساقط من «د».

(٢) سورة ص، الآية: ٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٤) في «د» و«ش»: «وقيل» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٥) في «س»: «على المشيئة».

(٦) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٧) في «د»: «عم».

(٨) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/٥٨)، وفيه: (قال البخاري . . . عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وهو بهذا اللفظ في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب التفسير (٥٦)، باب (١)، ح٤٨١٠، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ موقوفًا عليه.

النبي ﷺ على أُبي[1] لما أمر الله تعالى أن يقرأها[2] عليه قراءة إبلاغ وإسماع[3] بخصوصه[4] فقال[5] تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[6]، وهذا حقيقة في قول: «لا إله إلا الله»، وبذلك بعث جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي[7] إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿وَسْئَلْ

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، يكنى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يكتب الوحي وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ. قال عمر بن الخطاب في حقه: (هذا سيد المسلمين) ومات في سنة ثلاثين. انظر: «صفة الصفوة»: (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦).

(٢) الهاء ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «وسماع».

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٥٣٦)، وفيه: (وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأُبي ابن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ قال: وسماني لك؟ قال: نعم» فبكى.
رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به).
وقد ثبت في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (٢٣)، ح٧٩٩/ ١٢٢، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ لأُبي ابن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا [البينة: ١] قال: وسماني؟ قال: نعم، قال: فبكى».

(٥) الفاء ساقط من «د».

(٦) سورة البينة، الآيتان: ٤ ـ ٥.

(٧) في «د»: «يوحى» وهو خطأ.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

﴿مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل، كما قال نوح عليه السلام: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3]، وكذلك هود[4] وصالح[5] وشعيب[6] عليهم السلام وغيرهم كل يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ لاسيما أفضل الرسل اللذين[7] اتخذ الله كليهما خليلاً إبراهيم ومحمد ـ صلى الله عليهما وسلم تسليمًا ـ، فإن هذا الأصل بينه[8] الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما. فإبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ هو الإمام الذي قال الله فيه: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[9]، وفي[10] ذريته جعل الله[11] النبوة والكتاب والرسل بعده[12] فأهل هذه النبوة والرسالة هم من آله[13] الذين بارك الله عليهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٤) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٥) سورة هود، الآية: ٦١.

(٦) سورة هود، الآية: ٨٤.

(٧) في «د»: «الذين».

(٨) في «ص» و«د»: «ثبته الله».

(٩) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(١٠) في «د»: «ومن» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١١) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«ش» و«د».

(١٢) «بعده» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(١٣) «آله» ساقط من «ص» و«ش» و«س».

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]

فهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص لله تعالى، وهي البراءة من كل معبود إلا[2] من الخالق الذي فطرنا، كما قال صاحب يس: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[3]، وقال تعالى في قصته[4] بعد أن ذكر ما يبين[5] ضلال من اتخذ بعض الكواكب ربًّا يعبده من دون الله، قال: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[6].

وقال[7] إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) «إلا» ساقط من «د».

(٣) سورة يس، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤.

(٤) أي: إبراهيم عليه السلام.

(٥) في «ص»: «تبين من».

(٦) سورة الأنعام، الآيات: ٧٨ ـ ٨١.
وقوله تعالى: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ ساقط من «ص» و«د».

(٧) الواو ساقط من «س» و«ش».

ثُمَّ يُحْيِينِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[2].

ونبينا ﷺ هو الذي أقام[3] الله به الدين الخالص لله، دين التوحيد، وقمع به أصناف المشركين[4]، ممن[5] كان مشركًا في الأصل، ومن[6] الذين كفروا من[7] أهل الكتاب.

وقال[8] ﷺ فيما[9] رواه الإمام أحمد وغيره: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي[10]، وجعل الذلة[11] والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[12].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٨١.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

(٣) «أقام» ساقط من «د».

(٤) «أصناف» ساقط من «س» و«ش»، وفي «د» بدل قوله: «أصناف المشركين» بياض.

(٥) في «س» و«ش»: «فمن» وهذا تصحيف، وهو خطأ.

(٦) الواو ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٧) في «س»: «ومن».

(٨) «وقال» بياض في «د».

(٩) في «د»: «كما فيما».

(١٠) في «س»: «سيفي».

(١١) قوله: «والذلة و» ساقط من «ص».

(١٢) رواه أحمد في «مسنده»: (٢/ ٥)، بلفظه عن ابن عمر. وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» وعزاه إلى الطبراني وأبي يعلى في «مسنده». انظر: «صحيح الجامع الصغير»: رقم (٢٨٢٨).

وقد تقدم بعض ما أنزل الله تعالى عليه[1] من الآيات المتضمنة[2] التوحيد، وقال[3] تعالى أيضًا[4]: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾[5]، إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ۝٣٦ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[6]، إلى قوله[7]: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ۝٤١ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾[8] إلى ما ذكره الله[9] من[10] قصص الأنبياء في التوحيد وإخلاص الدين لله، إلى قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾[11].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ

---

(١) «عليه» ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٢) في «د»: «المستفيضة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «س» و«ش»: «فقال».

(٤) «أيضًا» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١ ـ ٤. وفي «د» إلى قوله تعالى: ﴿إن إلٰهكم إلٰه واحد﴾ وهذا خطأ من الناسخ.

(٦) سورة الصافات، الآيات: ٣٥ ـ ٣٧.

(٧) في «د» بدلاً من «إلى قوله»: «قال تعالى: ﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾».

(٨) سورة الصافات، الآيات: ٤٠ ـ ٤٢، وقوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ ساقط من «س» و«ش».

(٩) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«ش» و«د».

(١٠) في «ش»: «في قصص».

(١١) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٩ ـ ١٦٠.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[1].

وفي الجملة[2] فهذا الأصل في مثل[3] سورة الأنعام والأعراف والنور والم[4] والحم والطس والر[5] وسور المفصل[6] وغير ذلك من السور المكية، ومواضع من السور المدنية كثيرة ظاهرة، وهو أصل الأصول وقاعدة الدين، حتى في سورتي[7] الإخلاص: [﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾][8]، وهاتان السورتان كان النبي ﷺ يقرأ بهما في صلاة[9] التطوع سنة الفجر، وركعتي الطواف[10]. وهما متضمنتان

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) في «ص»: «وبالجملة».

(٣) «مثل» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٤) «الم» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٥) «الـحم، الطس» بياض في «ص». «والر» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٦) وفي «ش» بعد قوله: «وسور المفصل» قوله: «وقل يا أيها الكافرون» وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم عليه الكلام؛ لأن سورة «الكافرون» من سور المفصل.

(٧) في «ش»: «وسورة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٨) سورة الكافرون، الآية: ١، وقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ساقط من «ش»، وسورة الإخلاص، الآية: ١.

(٩) في «س» و«ش» و«ص»: «ركعتي».

(١٠) ثبت في «صحيح مسلم»: (٢/ . . . ، ح١٢١٨/ ١٤٧)، في كتاب الحج (١٥)، باب (١٩)، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الطواف بقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون. .

وثبت أيضًا في «صحيح مسلم»: ج١، في كتاب صلاة المسافرين (٦)، باب (١٤)، ح٧٢٦/ ٩٨، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

للتوحيد، فأما ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة وهو الذي يتكلم به[1] مشايخ التصوف غالبًا. وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي[2] كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أن رجلاً كان يقرأ ﴿قُلْ[3] هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في صلاته، فقال النبي ﷺ: سلوه لم يفعل ذلك؟ فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها[4]. فقال: أخبروه أن الله يحبه»[5] ولهذا تضمنت هذه السورة من وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي[6] ينفي[7] قول أهل التعطيل[8] وقول أهل

---

(١) «به» ساقط من «د».

(٢) في «س» و«ش»: «وكما».

(٣) في «س» و«د»: «بقل».

(٤) في «د»: «فأنا أحب أن أقرأ بها».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦)، باب فضل قراءة قل هو الله أحد (٤٥)، ح٨١٣. ولفظه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية. وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه، لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».
وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب (١)، ح٧٣٧٥، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ نحوه.

(٦) في «ص»: «ما».

(٧) في «ش»: «جاء ينفي»، وفي «س»: «جاء بنفي».

(٨) العطل مصدر عَطِلَت المرأة وتَعَطَّلت إذا خلا جيدها من القلائد فهي عُطُل بضمتين=

التمثيل[1] ما صارت به هي[2] الأصل المعتمد عليه[3] في مسائل الذات، كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع.

وذكرنا اعتماد الأئمة عليها وعلى[4] ما تضمنته في[5] تفسير «الأحد» و«الصمد» كما جاء تفسيره[6] عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من الدلائل[7].

= وعاطل ومعطال، وقد يستعمل العَطَل في الخلو من الشيء، وإن كان أصله في الحلي يقال (عَطِلَ) الرجل من المال والأدب فهو عُطْلٌ، والتَّعْطِيلُ التفريغُ، وبئر مُعَطَّلة لِبُيُودِ أهلها. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٤٤٠).

والتعطيل اصطلاحًا: يطلق ويراد به إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضها فهو نوعان:

أ ـ تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية، الذين أنكروا الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضًا.

ب ـ تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض.

انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٨٦ ـ ٩٤)، و«شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» للشيخ محمد بن صالح العثيمين: (ص١١٣ ـ ١١٤).

(١) المِثْل؛ كلمة تسوية يقال: هذا (مِثْلُه) و(مَثَلُه) كما يقال: شِبْهُه وشَبَهُه. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٦١٤).

وأهل التمثيل اصطلاحًا: هم المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ١٠٣).

(٢) في «د»: «هو».

(٣) «عليه» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٤) «وعلى» ساقط من «ش»، وفي «د»: «مع» بدلاً منه، وهو في «س» بدون الواو.

(٥) في «ص»: «من».

(٦) في «ش»: «في تفسير».

(٧) انظر على سبيل المثال: «الفتاوى» لابن تيمية: (١٧/ ٢١٤ ـ ٤٥٢).

لكن المقصود هنا: هو التوحيد العملي، وهو إخلاص العمل[1] لله، وإن كان أحد النوعين مرتبطًا بالآخر، فلا يوجد أحد من أهل التعطيل والجهمية، وأهل التمثيل المشبهة إلا[2] فيه نوع من الشرك العملي؛ إذ أصل قولهم فيه شرك، وتسوية بين الله وبين خلقه، أو بينه وبين المعدومات، كما تسوي المعطلة بينه وبين المعدومات في الصفات السلبية التي لا تستلزم مدحًا[3] ولا ثبوت كمال، أو يسوون بينه وبين الناقص من الموجودات في صفات[4] النقص، وكما يسوون[5] إذا[6] أثبتوا هم[7] ومن ضاهاهم من[8] الممثلة مساواة بينه[9] وبين المخلوقات[10] [في حقائقها، حتى قد[11] يعبدونها، فيعدلون بربهم ويجعلون له أندادًا، ويشبهون[12] المخلوق][13] برب العالمين.

---

(١) «العمل» ساقط من «د»، وفي «س» و«ش»: «الدين» بدلاً منه.

(٢) في «ش»: «الذي».

(٣) في «ش»: «قدحًا»، وفي «س»: «قدما»، وبهامشها: «لعله قدحًا» وهو خطأ.

(٤) في «ش»: «الصفات».

(٥) في «س» و«ش»: «يثبتون».

(٦) في «س»: «إذا هم».

(٧) قوله: «إذا أثبتوا هم» ساقط من «ص».

(٨) في «ص»: «بين».

(٩) قوله: «مساواة بينه» ساقط من «ص»، و«مساواة» ساقط من «ش».

(١٠) في «د»: «وبين مساواة المخلوقات».

(١١) «قد» ساقط من «س».

(١٢) في «د»: «ويسوون».

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

واليهود[1] كثيرًا ما يعدلون الخالق بالمخلوق، ويمثلون[2] به حتى يصفوا الله بالفقر والعجز والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها، وهي من صفات خلقه[3]، والنصارى كثيرًا ما يعدلون المخلوق بالخالق[4]، حتى يجعلوا في المخلوق[5] من نعوت الربوبية وصفات الإلهية، ويجوزون له[6] ما لا يصلح[7] إلا[8] للخالق[9] سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالدعاء والإنابة[10] في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وقد قال النبي ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون»[11]،

---

(١) في «د»: «فاليهود».

(٢) في «س»: «ويمثلون».

(٣) «صفات خلقه» بياض في «ص».

(٤) في «د»: «الخالق بالمخلوق».

(٥) في «ش»: «المخلوقات».

(٦) «ويجوزون له» ساقط من «ص».

(٧) في «ص»: «يكون».

(٨) «إلا» ساقط من «ش».

(٩) في «ص»: «للعالم».

(١٠) في «د»: «أن نسأله أن يهدينا الصراط».

(١١) «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب التفسير من تفسير سورة الفاتحة (٢)، ح٤٠٣٠، عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال» فذكر الحديث بطوله. قال الترمذي: حديث حسن غريب.
وأخرجه الإمام أحمد: (٤/ ٣٧٨)، من حديث عدي بن حاتم.

وفي هذه الأمة من فيه شبه من هؤلاء وهؤلاء[1] كما قال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة[2] حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[3]، والحديث في «الصحيحين».

وإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده، فالشيء المراد لنفسه[4] هو[5] المحبوب لذاته. وهذا[6] كمال المحبة، لكن[7] أكثر[8] ما جاء المطلوب[9] مسمى[10] باسم العبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[11]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) «وهؤلاء» ساقط من «ص».

(٢) القذة: ريش السهم. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ٣٨)، مادة: «قذذ».

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب العلم (٤٧)، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢)، ح٢٦٦٩، ولفظه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».
وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩٦)، باب (١٤)، ح٧٣٢٠، عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مسلم.

(٤) في «د»: «بنفسه».

(٥) «هو» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٦) في «د»: «هو».

(٧) في «ص»: «بل»، وفي «س» و«ش»: «يكون».

(٨) «أكثر ما» ساقط من «ص».

(٩) «المطلوب» ساقط من «ش».

(١٠) «مسمى» ساقط من «ص».

(١١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[١]، وأمثال هذا[٢].

والعبادة تتضمن كمال الحب[٣] ونهايته، وكمال الذل ونهايته[٤]، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودًا، والمعظم الذي[٥] لا يحب لا[٦] يكون معبودًا، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾[٧]، [فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أندادًا وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله فالذين آمنوا أشد حبًا لله][٨] منهم لله ولأوثانهم[٩]؛ لأن المؤمنين[١٠] أعلم بالله. والحب يتبع العلم ولأن المؤمنين[١٠] جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له[١١] وأشركوا[١٢] بينه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١، وقوله تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾ ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٢) قوله: «وأمثال هذا» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «المحبة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) قوله: «وكمال الذل ونهايته» ساقط من «س».

(٥) «الذي» ساقط من «ص».

(٦) «لا» ساقط من «ش»، وفي «س»: «أن يكون» وهذا خطأ واضح.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

(٩) قوله: «لله ولأوثانهم» ساقط من «ص»، وفي «س» و«ش»: «ولآبائهم» وهذا تصحيف.

(١٠) في «س»: «المؤمن».

(١١) في «د»: «لغيره».

(١٢) في «ش»: «أشركوا».

وبين الأنداد في الحب، ومعلوم أن ذلك أكمل قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]. واسم المحبة فيه إطلاق وعموم، فإن المؤمن يحب الله ويحب[2] رسله[3] وأنبياءه وعباده المؤمنين، وإن كان[4] ذلك من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فقد[5] جاءت محبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ مذكورة بما يختص به ـ سبحانه ـ من العبادة لله والإنابة إليه والتبتل له ونحو ذلك، فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ. ثم إنه كما بيّن أن محبته أصل الدين فقد بيّن أن كمال الدين بكمالها، ونقصه بنقصها، فإن النبي ﷺ قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»[6].

فأخبر أن الجهاد سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه. وقد قال تعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٢) «ويحب» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «رسوله».

(٤) «إن كان» ساقط من «ص».

(٥) في «د»: «ولهذا»، وفي «س» و«ش»: «فلهذا».

(٦) «مسند الإمام أحمد»: (٥/ ٢٣١)، عن معاذ بن جبل بلفظه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد، والترمذي وصححه وهو من حديث معاذ بن جبل الطويل). انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (١٧/ ٢٦).
وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، ح٢٦١٦، كتاب الإيمان (١)، باب (٨). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾[1].

والنصوص في فضائل الجهاد وأهله[2] كثيرة، وقد ثبت أنه أفضل ما تطوع به العبد والجهاد لازم دليل[3] المحبة الكاملة[4]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾[5]. وقال سبحانه وتعالى في صفة المحبين المحبوبين[6]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[7].

[فوصف[8] المحبوبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأنهم[9] يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم][10]. فإن

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ١٩ ـ ٢٢.

(٢) «وأهله» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «لازم دليل المحبة».

(٤) في «ص»: «لازم للمحبة» فقط.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٦) «المحبوبين» ساقط من «ص».

(٧) سورة المائدة، الآية: ٥٤، وقوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٨) في «س»: «فبين أن».

(٩) في «س»: «وأخبر عنهم».

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من «ص» و«ش».

المحبة[1] مستلزمة للجهاد، ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه[2]، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب[3] لغضبه ويأمر بما يأمر به، وينهيى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك.

وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون ما يرضاه، ويغضبون لما يغضب له، كما قال النبي ﷺ لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب[4]، وبلال[5]: «لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فقال لهم: يا إخوتي[6] هل أغضبتكم؟

---

(١) في «ص»: «محبته».

(٢) في «س»: «من يوالي محبوبه».

(٣) في «س» بعد «لرضاه»: «ويبغض لبغضه».

(٤) صهيب بن سنان الرومي، يعرف بذلك؛ لأنه أخذ لسان الروم إذ سبوه وهو صغير، وهو نمري من النمر بن قاسط، شهد بدرًا مع الرسول ﷺ وغيرها، ويكنى أبا يحيى، وأوصى إليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ بالصلاة بجماعة المسلمين حتى يتفق أهل الشورى، مات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال وهو ابن سبعين. وقيل: مات في سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. وقيل: ابن تسعين سنة ودُفن بالبقيع. روى عنه بعض الصحابة وبعض التابعين. ويعد في المدنيين.
انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر: (٢/ ١٩٥)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٤٣٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ١/ ١٥١ ـ ١٥٦).

(٥) بلال بن رباح مؤذن الرسول الله ﷺ، أعتقه أبو بكر الصديق كنيته أبو عمرو. قال لأبي بكر الصديق بعد موت النبي ﷺ: إن كنت أعتقتني لله فدعني أذهب حيث شئت، وإن كنت أعتقتني لنفسك فأمسكني. قال أبو بكر: اذهب حيث شئت فذهب إلى الشام وسكنها مؤثرًا للجهاد على الآذان إلى أن مات بها سنة عشرين.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٠).

(٦) في «ص»: «يا إخواني».

قالوا: لا. يغفر الله لك يا أبا بكر»[١]، وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب[٢] فقالوا: ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لسيد قريش؟ وذكر[٣] أبو بكر ذلك للنبي[٤] ﷺ، فقال له: ما تقدم لأن هؤلاء إنما قالوا ذلك غضبًا لله، لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله، والمعاداة لأعدائه[٥] ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح فيما يروي[٦] عن ربه عز وجل: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر[٧]، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته[٨] ولابد له منه»[٩].

---

(١) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب من فضائل سلمان وصهيب ـ رضي الله عنه ـ (٤٢)، عن عائذ بن عمرو بلفظ مقارب.

(٢) أبو سفيان بن حرب، اسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس والد معاوية بن أبي سفيان مات سنة إحدى وثلاثين. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٣٢).

(٣) في «د»: «فذكر».

(٤) في «ص»: «الرسول الله».

(٥) في «د»: «لأعداء الله ورسوله».

(٦) في «ش» و«ص»: «يروى به».

(٧) «وبي يبصر» ساقط من «س».

(٨) «وأنا أكره مساءته» ساقط من «د».

(٩) سبق تخريجه (ص٢٩١).

فبين سبحانه أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه [كما قال: وأنا أكره مساءته. وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت[١] فسمى ذلك ترددًا][٢]، ثم بيَّن[٣] أنه لابد من وقوع ذلك، وهذا اتفاق[٤] واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه. وقد يقال له: اتحاد نوعي وصفي، وليس ذلك اتحاد الذاتين، فإن ذلك محال ممتنع، والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية[٥] من الرافضة وجهال النساك كالحلاجية[٦] ونحوهم، وهو الاتحاد المقيد في شيء بعينه.

---

(١) في «د»: «أن لا يموت» وهو خطأ ظاهر.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٣) في «س» و«ش»: «أخبر».

(٤) «اتفاق» ساقط من «ص» و«ش» بياض في «س».

(٥) غلاتهم الذين قالوا: بإلٰهية الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية والمغيرية والجناحية والمنصورية والخطابية والحلولية ومن جرى مجراهم، ما هم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه.
انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٢٣ ـ ٢٤).

(٦) الحلاجية: هم المنسوبون إلى أبي المغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وقد اختلف فيه المتكلمون، فأكثرهم على تكفيره، واختلف الفقهاء أيضًا في شأن الحلاج فتوقف فيه أبو العباس بن سريج لما استفتي في دمه، وأفتى أبو بكر محمد بن داود بجواز قتله وبريء منه بعض مشايخ الصوفية، وقيل: إنه يقول بالحلول، وقد ضرب وقتل وصلب بأمر الخليفة جعفر المقتدر بالله في يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة.
انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٢٦٠ ـ ٢٦٤).

وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل[1] وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، فهذا تعطيل للصانع وجحود له، وهو جامع لكل شرك، وكما أن الاتحاد نوعان: فكذلك الحلول نوعان: قوم يقولون بالحلول المقيد في بعض الأشخاص، وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية[2] الذين يقولون: إن ذات الله في كل مكان.

وقد يقع لبعض[3] المصطلمين[4] من أهل الفناء[5] في المحبة أن يغيب بمحبوبه عن نفسه وحبه، ويغيب بمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته، وبموجوده عن وجوده حتى لا يشهد[6] إلا محبوبه ومذكوره[7] فيظن في زوال تمييزه، ونقص عقله، وسكره أنه هو[8] محبوبه، كما قيل: إن محبوبًا وقع في اليم فألقى المحب نفسه خلفه. فقال: أنا وقعت، فأنت ما الذي أوقعك فقال: غبت بك[9] عني[10] فظننت أنك أني[11].

---

(١) «أهل» ساقط من «س».

(٢) ستأتي ترجمة الجهمية عند كلام المؤلف عليهم في (ص٤٠٩).

(٣) في «د»: «لبعض المختلطين» وهو خطأ.

(٤) تقدم بيان الاصطلام في القسم الأول من هذه الرسالة (ص١٠٢).

(٥) تقدم بيان الفناء في القسم الأول من هذه الرسالة (ص٩٨).

(٦) في «د»: «يشهدون» وهو خطأ.

(٧) «ومذكوره» ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٨) في «س»: «من».

(٩) «بك» ساقط من «س» و«ش».

(١٠) في «س»: «غني» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١١) انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (١١/ ٣٣٩).

فلا ريب أن هذا خطأ وضلال[١]. لكن إن كان هذا[٢] لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذورًا في زوال عقله، فلا يكون مؤاخذًا بما يصدر منه[٣] من الكلام في هذه الحال التي زال فيها عقله بسبب غير محظور، كما قيل في عقلاء المجانين: إنهم قوم أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم، وأسقط ما فرض بما سلب[٤]. وأما إذا كان السبب الذي به زال[٥] العقل محظورًا لم يكن السكران معذورًا، وإن كان لا يحكم بكفره في أصح القولين، كما لا يقع[٦] طلاقه في أصح القولين، وإن كان النزاع في الحكم مشهورًا. وقد بسطنا الكلام في هذا وفي من يسلم له حاله ومن لا يسلم في «قاعدة» ذلك[٧].

وبكل حال فالفناء الذي يفضي بصاحبه إلى مثل هذا حال ناقص إن كان صاحبه غير مكلف، ولهذا لم يرد مثل هذا على[٨] الصحابة الذين هم

---

(١) في «د»: «وهلاك».

(٢) في «س»: «فهذا» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «ص»: «عنه».

(٤) نسب شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول إلى الإمام أبي محمد المقدسي في «السلوك»: (١٠/ ٣٤٩)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن هؤلاء كما بلغنا عن الإمام أبي محمد المقدسي حيث سئل عنهم، فقال: هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم، وأسقط ما فرض بما سلب) اهـ.

(٥) في «س» و«ش»: «زوال».

(٦) في «ص»: «لا يلغي».

(٧) انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (٣٣/ ١٠٢)، باب طلاق السكران ونحوه، و«السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٧٨ـ ٣٨٦).

(٨) في «د»: «عن».

أفضل هذه الأمة، ولا على[1] نبينا قبلهم[2] ﷺ وهو أفضل الرسل[3] وإن كان لهؤلاء في[4] صعق موسى عليه السلام نوع تعلق.

وإنما حدث زوال العقل عند الواردات الإلهية على بعض التابعين ومن بعدهم، وإن[5] كانت المحبة[6] التامة[7] مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه في هذه الأمة[8] وولايته وعداوته، فمن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة، فلابد أن يبغض أعداءه ولابد أن يحب ما يحبه من جهادهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[9]، والمحب[10] التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل، بل ذلك يغريه[11] بملازمة المحبة. كما قد قال[12] أكثر الشعراء في ذلك وهؤلاء هم أهل الملام المحمود، وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد أعدائه، فإن

---

(١) في «د»: «عن».

(٢) «قبلهم» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٣) «وهو أفضل الرسل» ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٤) في «د»: «م من».

(٥) في «ص»: «وإذا».

(٦) في «د»: «في المحبة».

(٧) «التامة» ساقط من «ص».

(٨) «في هذه الأمة» ساقط من «د»، وفي «ص»: «في هذه الآية» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٩) سورة الصف، الآية: ٤.

(١٠) في «س»: «الحب».

(١١) في «ص»: «نعرفه»، وفي «س» و«ش»: «يعرفه».

(١٢) «قد» ساقط من «ص»، و«قال» ساقط من «س» و«ش».

اللائم على ذلك كثير، وأما الملام على فعل[1] كرهه الله أو ترك ما أحبه الله[2]، فهو لوم بحق، وليس من المحمود الصبر على هذا الملام بل الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك.

* * *

(١) «فعل» ساقط من «س».

(٢) في «ص»: «يحبه الله»، وفي «س» ساقط لفظ الجلالة.

فصل

وإذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني، فالخوف والرجاء وغيرهما تستلزم المحبة وترجع إليها، فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه، والخائف يفر من الخوف[1] لينال المحبوب.

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ﴾[3]، ورحمته: اسم جامع لكل خير، وعذابه[4]: اسم جامع لكل شر، ودار الرحمة الخالصة هي: الجنة، ودار العذاب الخالص: هي النار، وأما الدنيا فدار استدراج[5]. فالرجاء وإن تعلق بدخول الجنة، فالجنة: اسم جامع لكل نعيم، وأعلاه[6] النظر إلى الله ـ عز وجل ـ، كما في «صحيح[7] مسلم» عن ثابت[8]، عن عبد الرحمن ابن أبي

---

(١) «من المخوف» ساقط من «ش»، وفي «س»: «من المخيف».

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(٤) «اسم جامع لكل خير، وعذابه» ساقط من «س».

(٥) في «د»: «متزاج» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٦) في «س»: «وأعلاها» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٧) في «ش»: «الصحيح» مع إسقاط قوله: «مسلم».

(٨) قوله: «عن ثابت» ساقط من «س» و«ش» و«د».

وثابت هو: ثابت بن أسلم البُنَاني من ولد بُنانة بن سعد بن لؤي بن غالب أبو محمد، =

ليلى[1]، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد[2]: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، وينجينا[3] من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم[4] شيئًا أحب إليهم من النظر إليه»[5]، وهي الزيادة.

ومن هنا يتبين زوال الاشتباه في قول من قال: (ما[6] عبدتك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك، وإنما عبدتك شوقًا إلى رؤيتك)[7]. فإن

= ممن صحب أنس بن مالك أربعين سنة، وكان من أعبد أهل البصرة وأكثرهم صبرًا على كثرة الصلاة ليلاً ونهارًا مع الورع الشديد، ومات سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٨٩، رقم الترجمة ٦٥٠).

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى وُلد في خلافة أبي بكر، وقيل: وُلد لست بقين من خلافة عمر. روى عن بعض الصحابة منهم صهيب، أدرك عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ قال ابن معين: ثقة وقال العجلي، كوفي تابعي، فقد بالجماجم سنة ٨٢هـ.
انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٦/ ٢٦٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (٢/ ٤/ ٣٥٠-٣٥٨).

(٢) في «د»: «منادى».

(٣) في «ص»: «يحبرنا».

(٤) في «ص»: «فما أعطاهم الله».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠)، ح١٨١، عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقول: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

(٦) «ما» ساقط من «س».

(٧) «إلى رؤيتك» بياض في «د». =

هذا القائل ظن هو ومن تابعه[1] أن الجنة لا يدخل في مسماها إلا الأكل[2] والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات، كما يوافقه[3] [على ذلك من ينكر رؤية الله من الجهمية، أو من يُقِرُّ بها ويزعم أنه لا تمتع في نفس رؤية الله، كما يقوله طائفة من المتفقهة، فهؤلاء متفقون على أن مسمى الجنة أو الآخرة لا يدخل فيه إلا التمتع بالمخلوقات[4]، ولهذا قال بعض من غلط من المشايخ لما سمع قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[5]، قال: فأين من يريد الله[6]؟، وقال آخر في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ

= وهذا القول يروى عن رابعة العدوية، كما ذكر ذلك أبو طالب المكي في كتابه «قوت القلوب»: (٢/ ٥٧).

وذكر ذلك الغزالي في «إحياء علوم الدين»: (٣/ ٢٨٥).

(١) في «ص»: «نازعه» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) «إلا الأكل» بياض في «د».

(٣) يبدأ من هنا سقط من «س» إلى (ص٤٦٤).

(٤) في «د»: «بالمخلوق».

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة» (٢/ ١٠٦): (ما ذكر عن الشبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سمع قارئًا يقرأ: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٢] فصرخ وقال: أين من يريد الله؟ فيحمد منه كونه أراد الله، ولكن غلط في ظنه أن الذين أرادوا الآخرة ما أرادوا الله. وهذه الآية في أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا معه بأحد، وهم أفضل الخلق، فإن لم يريدوا الله، أفيريد الله من هو دونهم كالشبلي وأمثاله؟) اهـ.

﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1]، قال[2]: فإذا كانت النفوس والأموال[3] بالجنة فأين النظر إليه؟ وكل[4] هذا لظنهم أن الجنة لا يدخل فيها النظر إلى الله تعالى[5] والتحقيق أن الجنة: هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر إلى الله تعالى وهو من النعيم الذي ينالونه وهم[6] في الجنة كما أخبرت به النصوص، وكذلك أهل النار فإنهم[7] محجوبون عن ربهم ثم[8] يدخلون النار، مع أن هذا القائل إذا[9] كان عارفًا بما يقول فإنما[10] قصده: أنك لو لم تخلق نارًا ولم[11] تخلق جنة لكان يجب أن تعبد، ويجب ذلك للتمتع[12] بالتقرب إليك والنظر إليك، [ومقصوده بالجنة هنا ما يتمتع فيه بالمخلوق، أما عمل الحي بغير حب ولا إرادة أصلًا فهذا ممتنع وإن تخيله[13] بعض الغالطين من النساك وظن أن كمال العبد أن لا يبقى له

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) «قال» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «الأموال والأنفس».

(٤) «وكل» ساقط من «ص».

(٥) قوله: «إلى الله تعالى» ساقط من «د» و«ش».

(٦) «وهم» ساقط من «د» و«ش».

(٧) في «ش»: «وإنهم».

(٨) ساقط من «ش»، وفي «ص»: «ويدخلون النار».

(٩) في «ص»: «إن».

(١٠) في «د» و«ش»: «وإنما».

(١١) في «د»: «ولو لم تخلق جنة».

(١٢) قوله: «ذلك للتمتع» ساقط من «د» و«ش»، وفيهما: «ويجب التقرب».

(١٣) في «د»: «من تخليه» وما أثبتناه في النص من المطبوعة وهو «إن تخليه». «مطبوعة الفتاوى»: (١٠/ ٦٣).

إرادة أصلاً[١]، فذاك لأنه تكلم في حال الفناء، والفاني الذي يشتغل بمحبوبه له إرادة ومحبة، ولكن لا يشعر بها، فوجود[٢] المحبة شيء والإرادة شيء[٣] والشعور بها شيء آخر، فلما لم يشعروا بها ظنوا انتفاءها، وهو غلط فالعبد لا يتصور أن يتحرك قط إلا عن حب وبغض وإرادة. ولهذا قال النبي ﷺ: «أصدق الأسماء الحارث وهمام»[٤] فكل

---

(١) انظر: بسط الكلام في المسألة في «الفتاوى» لابن تيمية: (١٠/ ٤٩٤).

(٢) في «د»: «فوجد»، وما أثبتناه في النص من المطبوعة وهو في «الفتاوى»: (١٠/ ٦٣).

(٣) في المطبوعة: «والإرادة الشيء» وهذا تصحيف. مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه»: ج٥، كتاب الأدب (٣٥)، باب (٦٩)، ح٤٩٥٠، ولفظه هناك: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا هشام بن سعيد الطلقاني أخبرنا محمد بن المهاجر الأنصاري قال: حدثني عقيل بن شبيب، عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة».
وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ٣٤٥). طبع المكتب الإسلامي وبهامشه «المنتخب».
وخرجه الألباني في كتابه «إرواء الغليل»: (٤/ ٤٠٨، ح١١٧٨)، وعزاه إلى أبي داود والنسائي وأحمد والبيهقي، كلهم من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي، وقال: وهذا إسناد ضعيف، من أجل عقيل بن شبيب قال الذهبي: لا يعرف هو ولا الصحابي إلا بهذا الحديث. وقال الحافظ: مجهول. ولتمام الحديث شاهد مرسل صحيح خرجته في «الصحيحة»: رقم (١٠٤٠)، وقال أيضًا: (تنبيه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «مجموع الفتاوى» ١/ ٣٧٩: وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة». وهذا من أوهامه رحمه الله، فإنه كان يكتب من حفظه قلما يراجع كتابًا عندما يكتب فإن حديث ابن عمر في «صحيح مسلم»، كما قال، لكن دون قوله وأصدقها . . . إلخ. وإنما هذه الزيادة في حديث أبي وهب الجشمي هذا ولا تصح كما علمت، فاقتضى التنبيه) انتهى كلام الألباني. =

إنسان له حرث[1] وهو العمل، وله همّ وهو أصل الإرادة ولكن تارة يقوم بالقلب من محبة الله ما يدعوه إلى طاعته ومن إجلاله والحياء منه ما ينهاه عن معصيته][2] كما قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: (نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه)[3]، أي: هو لا يعصيه ولو لم يخفه فكيف إذا خافه[4] فإن إجلاله وإكرامه لله يمنعه عن معصيته. فالراجي الخائف إذا تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب باحتجاب الرب عنه والتنعم بتجليه له، فمعلوم أن هذا من توابع محبته له، فالمحبة هي التي أوجبت محبة التجلي والخوف من الاحتجاب، وإن تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب بمخلوق والتنعم به فهو[5] إنما يطلب ذلك بعبادة الله [المتضمنة لأصل المحبة[6] ثم إنه إذا ذاق[7] حلاوة محبة الله][8] وجدها أحلى من كل محبة، ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء، كما في الحديث: «إن أهل الجنة يلهمون

= قلت: وهو كما قال الألباني، ففي «صحيح مسلم»: ج٣، كتاب الآداب (٣٨)، ح٢١٣٢/٢، عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن». فلم يرد في مسلم قوله: «أصدق الأسماء الحارث وهمام».

(١) في «د»: «حارث».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٣) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف»: (ص٩٢)، و«قوت القلوب»: (١/ ٢٢٤)، و«المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة» للسخاوي: (ص٤٤٩).

(٤) «فكيف إذا خافه» ساقط من «ص» و«ش».

(٥) في «ش» و«د»: «فهذا».

(٦) في «د»: «المستلزمة محبته».

(٧) في «د»: «وجد».

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

التسبيح كما يلهمون النفس»[1]، وهذا يبين غاية تنعمهم بذكر الله ومحبته. فالخوف من التعذب بمخلوق والرجاء له يسوقه إلى محبة الله التي هي الأصل. وهذا كله ينبني على أصل المحبة، فيقال: قد نطق الكتاب والسنة بذكر محبة العباد المؤمنين لربهم، ومحبة الرب لعباده المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾[4]، وفي «الصحيحين»[5] عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى[6] في النار»[7]. بل محبة رسول الله ﷺ والأعمال الصالحة الواجبة[8] وجبت بمحبة الله كما[9] في قوله تعالى:

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الجنة . . . إلخ (٥)، باب في صفة الجنة وأهلها (٧)، ح٢٨٣٥، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٥) «الصحيحين» بياض في «ص».

(٦) «كما يكره أن يلقى» مكانه محو في «د».

(٧) سبق تخريجه في (ص٣٧٢).

(٨) قوله: «والأعمال الصالحة الواجبة» ساقط من «د» و«ش».

(٩) في «ش»: «كما قال في قوله».

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وكما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»[1].

وفي «صحيح البخاري» أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «والله يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء، إلا من نفسي، فقال له[2]: لا[3] يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك. قال: فوالله لأنت أحب إليَّ من نفسي. قال: الآن يا عمر»[4].

وكذلك محبة صحابته وقرابته، كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «آية الإيمان محبة الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[5]، وقال:

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ (١٦)، ح٤٤، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (٨)، ح١٤، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(٢) «له» ساقط من «ش».

(٣) «لا» ساقط من «ش».

(٤) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب (٣)، ح٦٦٣٢، عن عبد الله بن هشام قال: «كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري»: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١٠)، ح١٧، عن أنس بلفظه إلا أن بدل قوله: «محبة» في البخاري: «حب».

«لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»[1]، وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: «إنه لعهد النبي الأمي[2] ﷺ إليَّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[3].

وفي «السنن» أنه قال للعباس[4]: «والذي نفسي بيده، لا يدخلون[5] الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[6] يعني: بني هاشم.

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ـ رضي الله عنهم ـ من الإيمان . . . إلخ (٣٣)، ح٧٦، عن أبي هريرة بلفظه، وفي «ص» زيادة لم ترد في مسلم فلم أثبتها في النص وهي: «ولا يبغضني إلا منافق».

(٢) «الأمي» ساقط من «ش».

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب الدليل على أن من أحب الأنصار وعلي ـ رضي الله عنهم ـ من الإيمان . . . إلخ (٣٣)، ح٧٨، عن علي قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأمي ﷺ إلى «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق».

(٤) العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، كنيته أبو الفضل، وأمه ابنة جناب بن كلب ابن مالك بن النمر بن قاسط، كان مولده قبل الفيل بثلاث سنين، ومات سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة بالمدينة، وصلى عليه عثمان بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ. انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٥٠٦ ـ ٥١٠)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٩).

(٥) «لا يدخلون» بياض في «د».

(٦) أخرج الإمام أحمد في «مسنده»: (١/ ٢٠٧)، وفيه: عن عبد المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا لنخرج فنرى قريشًا تحدث فإذا رأونا سكتوا. فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه ثم قال: «والله لا يدخل قلب امرىء إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي».

وفي رواية في «مسند الإمام أحمد»: (١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، عن عبد الله بن الحارث عن=

وقد رُوي حديث عن ابن[1] عباس مرفوعًا أنه قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي»[2].

وأما محبة الرب سبحانه لعبده، فقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾[3]، وقال تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[5]، ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[6]، ﴿ فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[7]، ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[8]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا

= العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله، إن قريشًا إذا لقي بعضهم بعض لقوهم ببشر حسن. وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها. قال: فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله».

وأخرجه الترمذي بلفظ مقارب في «الجامع» بشرحه «التحفة»: (١٠/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، ح٣٨٤٧)، في أبواب المناقب، باب مناقب العباس، عن العباس بن عبد المطلب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الشارح المباركفوري: (وأخرجه أحمد). ورواه ابن ماجه في المقدمة مع اختلاف عنه في اللفظ أيضًا: (١/ ٥٠)، وأخرجه الحاكم في «معرفة الصحابة»: (٣/ ٣٣٣)، وسكت عنه الذهبي.

(١) «عن ابن» بياض في «د».

(٢) «سنن الترمذي»: ج٥، المناقب، ح٣٨٧٨، عن ابن عباس بلفظه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٥، وقوله تعالى: ﴿وأحسنوا﴾ ساقط من «ص».

(٦) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٨) سورة التوبة، الآية: ٧.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1]، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[2].

وأما الأعمال التي يحبها الله، الواجبات[3] والمستحبة، الظاهرة والباطنة فكثيرة معروفة، وكذلك حبه لأهلها، وهم المؤمنون أولياء الله المتقون. وهذه المحبة حق[4] كما نطق بها الكتاب والسنة والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة[5] والحديث وجميع مشايخ الدين المتبعون[6] وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب بحب ذاته محبة حقيقية بل هي أكمل محبة، فإنها[7] كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[8]، وكذلك هو[9] ـ سبحانه وتعالى ـ يحب ما يحبه من عباده المؤمنين، وما هو في الله[10] محبة حقيقية.

وأنكر[11] الجهمية حقيقة المحبة من الطرفين، زعمًا منهم أن المحبة

---

(١) سورة الصف، الآية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٣) في «ص»: «من الواجبات».

(٤) «حق» ساقط من «ص» و«ش».

(٥) قوله: «والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة» ساقط من «ص».

(٦) قوله: «المتبعون وأئمة» ساقط من «ش».

(٧) «فإنها» ساقط من «ش».

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٩) «هو» ساقط من «ش».

(١٠) قوله: «وما هو في الله» ساقط من «د».

(١١) في «د»: «وأنكرت».

والجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان.

والجهمية: تطلق بمعنى عام ويقصد بهم نفاة الصفات، وتطلق أحيانًا بمعنى خاص ويقصد بها أتباع الجهم بن صفوان في آرائه. وأهمها: نفي الصفات، والقول بأن الله=

لا تكون إلا لمناسبة[1] بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة[2].

وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم[3] في أوائل المائة الثانية، فضحى به خالد بن عبد الله القسري[4] أمير العراق والمشرق بواسط. خطب الناس يوم الأضحى فقال: يا أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم

= لا يعلم الشيء قبل وقوعه وأن الإنسان مجبور على كل أفعاله، والقول بفناء الجنة والنار، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة كالمعتزلة.

انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٨٦ ـ ٨٨)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص١٩٩ ـ ٢٠٠)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري: (١/ ١٣٢ ـ ٢٧٩).

وانظر كلام الدكتور/ محمد رشاد سالم عن الجهمية في «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية: (٨١).

(١) في «ش»: «قياسية» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «س»: «يوجب واجب فادوا به المحبة» هكذا وردت، ولعله «قاسوا به المحبة».

(٣) الجعد بن درهم: عداده في التابعين، مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليمًا. فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر. والقصة مشهورة، وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة نسأل الله العافية. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر: (٢/ ١٠٥)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي: (١/ ٣٩٩).

(٤) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي، القسري الدمشقي، أمير العراقيين. قال ابن عدي: وهو عندي ضعيف. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وقال يحيى بن معين: إنه رجل سوء وكان يقع في علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. عذب وقتل سنة ١٢٦هـ.

انظر: «الكاشف» للذهبي: (١/ ٣٧١)، و«ميزان الاعتدال»: (١/ ٦٣٣)، و«لسان الميزان»: (٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٢)، و«البداية والنهاية»: (١٠/ ١٧)، و«تهذيب التهذيب»: (٣/ ١٠٢).

خليلاً ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقوله الجعد علوًّا كبيرًا[١]، ثم نزل فذبحه[٢]. وكان قد أخذ هذا المذهب عنه[٣] الجهم بن صفوان[٤]، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول الجهمية، فقتله سلم[٥] ابن أحوز أمير خرسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة، أتباع عمرو بن[٦]

---

(١) قوله: «تعالى الله عما يقوله الجعد علوًّا كبيرًا» ساقط من «د» و«ش».

(٢) أخرج هذه القصة البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»: (ص٧).

(٣) في «ش»: «عن» وهو خطأ ولعله تصحيف.

(٤) الجهم بن صفوان: هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الراسبي، كان من موالي بني راسب ضال مبتدع رأس الجهمية، يكثر ذكره في كتب التاريخ والفرق وقال الطبري: إنه كان كاتبًا للحارث بن سريج الذي خرج في خراسان في آخر دولة بني أمية. وجهم من الجبرية الخالصة. وقد ظهرت بدعته بترمذ.
وتتلمذ على الجعد بن درهم ووافق الجهم المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، قتله سلم بن أحوز بمرو في آخر دولة بني أمية سنة ثمان وعشرين ومائة. وقال عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»: (اتفقت أصناف الأمة على تكفيره).
انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٨٦)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص١٩٩ ـ ٢٠٠)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري: (١/ ٢٢٤)، و«لسان الميزان» لابن حجر: (٢/ ١٤٢)، و«تاريخ الأمم والملوك»: (٩/ ٦٩).

(٥) في «د»: «مسلم».

(٦) سبقت ترجمة المعتزلة (ص٢٩٣).

وعمر بن عبيد هو عمر بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري المعتزلي، القدري، روى عن الحسن البصري وغيره، كان يسكن البصرة، وجالس الحسن وحفظ عنه واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة، فقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحسن، وكان أبوه من شرطة الحجاج. قال ابن معين: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال أيوب ويونس: يكذب. وقال حميد: كان يكذب على الحسن. وكان يسب الصحابة. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. =

عبيد، وظهر قولهم أثناء خلافة الخليفة المتلقب[1] بالمأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام ودعوا إلى الموافقة لهم على ذلك.

وأصل قولهم[2] هذا[3] مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة[4] ومبتدعة أهل الكتاب، الذين يزعمون أن الرب ليس[5] له صفة ثبوتية أصلاً وهؤلاء هم أعداء إبراهيم[6] الخليل عليه السلام، وهم يعبدون الكواكب ويبنون الهياكل للعقول والنجوم وغيرها[7] وهم ينكرون][8] في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلاً أو موسى[9] كليمًا، لأن

= مات بطريق مكة سنة ثلاث وأربعين ومائة، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة أربع.
انظر: «التاريخ الكبير» لأبي عبد الله البخاري: (٦/ ٣٥٢)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي: (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٨٠)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٨/ ٧٠ ـ ٧٢).

(١) في «ص»: «الملقب».

(٢) «قولهم» ساقط من «ش».

(٣) «هذا» ساقط من «ص».

(٤) البراهمة انتسبوا إلى رجل يقال له: براهم، وهم المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم من يميل إلى الدهر، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها، فمن قائل بالروحانيات، ومن قائل بالهياكل، ومن قائل بالأصنام. «الملل والنحل» للشهرستاني: (٢/ ٢٥٠).
والمتفلسفة: هم حكماء الروم واليونان، الذين قالوا: إن للعالم مبدعًا لا تدرك صفته العقول من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره وهو الذي لا يعرف اسمه فضلاً عن هويته إلا من نحو أفاعيله، وإبداعه وتكوينه الأشياء. انظر: «الملل» للشهرستاني: (٢/ ٦١).

(٥) «ليس» ساقط من «د».

(٦) «إبراهيم» ساقط من «د».

(٧) في «د»: «وغيرها».

(٨) ما بين القوسين ساقط من «س». تقدم قوس في (ص٤٤٧).

(٩) في «د»: «وموسى كليمًا».

الخلة: هي كمال المحبة المستغرقة للمحب. كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني وبـذا سمـي الخليـل خليـلا

ويشهد لهذا ما ثبت في «الصحيح» عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذًا[١] من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[٢]، يعني: نفسه.

وفي رواية[٣]: «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً[٤]»[٥].

وفي رواية: «إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[٦].

---

(١) قوله: «كنت متخذًا» بياض في «د».

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ (١)، ٦/٢٣٨٣، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظه إلا أن بدل «أبا بكر»: «ابن أبي قحافة» فهو بهذا اللفظ عن ابن مسعود، وليس عن أبي سعيد الخدري كما أورده الشيخ.

(٣) قوله: «يعني نفسه. وفي رواية» ساقط من «ص».

(٤) «خليلاً» ساقط من «س».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (١)، ح٧/٢٣٨٣، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أبرأ إلى كل خِلٍّ من خله، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. إن صاحبكم خليل الله».

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب المساجد (٥)، باب (٣)، ح٥٣٢، عن جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ...» الحديث.

فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لو يكن[1] ذلك لكان أحق الناس به، أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصًا، كقوله لمعاذ: «والله إني لأحبك»[2]، وكذلك قوله للأنصار[3].

وكان زيد بن حارثة[4] حب رسول الله ﷺ، وكذلك ابنه . . . .

---

(١) في «د»: «أمكن».

(٢) عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، إني والله لأحبك، فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك».
أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧).
وأخرجه النووي في «رياض الصالحين»: (ص٤٩٨)، وقال: رواه أبو داود بإسناد صحيح وقال ابن حجر في «فتح الباري»: (١١/ ١٣٣)، في كتاب الدعوات (٨٠)، باب (١٨): (فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: يا معاذ، إني والله لأحبك فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم) انتهى كلامه.
وقال الألباني في تحقيقه لكتاب «الكلم الطيب» لابن تيمية (ص٧٦): إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات.

(٣) ورد في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٧، كتاب مناقب الأنصار (٦٣)، باب قول النبي ﷺ للأنصار: أنتم أحب الناس إليّ (٥)، ح٣٧٨٦، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إليّ. مرتين».

(٤) هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس ويكنى أبا أسامة، وهو مولى رسول الله ﷺ، أشهر مواليه، وهو حب رسول الله ﷺ، وأصابه سباء في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته للنبي ﷺ =

أسامة[1] حبه[2].

[وقال له عمرو[3] بن العاص[4]: «أيّ الناس أحبُّ إليك؟ قال:

= بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثماني سنوات، فأعتقه وتبناه، وكان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد بدرًا وما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمره عليهم. وقتل زيد بن حارثة في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة.
انظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير: (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧).

(١) أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وابن حبه، كنيته أبو يزيد، وقد قيل: أبو محمد، ويقال: أبو زيد، توفي بعد أن قتل عثمان بن عفان بالمدينة.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص١١).

(٢) ورد في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (١٠)، ح٢٤٢٥، عن ابن عمر يقول: بعث رسول الله ﷺ أسامة ابن زيد، فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمرته، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل. وايم الله إن كان لخليقًا للإمرة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليّ بعده».
وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب المغازي (٦٤)، باب (٨٧)، ح٤٤٦٩، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ نحوه.

(٣) بياض في «ص».

(٤) في «ص»: «ابن أبي وقاص» وهو خطأ، والصحيح إنما هو عمرو بن العاص راوي الحديث كما في مسلم. وهو الصحابي عمرو بن العاص بن وائل بن هشام السهمي القرشي أمير مصر. يكنى أبا عبد الله، وقد قيل: أبو محمد، من دهاة قريش، أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان، وقيل: بين الحديبية وخيبر. وكان النبي ﷺ يدنيه ويقربه لمعرفته وشجاعته، وولاه غزاة ذات السلاسل، وولاه عمر فلسطين. ثم ولي مصر في زمن معاوية سنة ٣٨هـ، إلى أن مات سنة إحدى وستين، وقيل: ثلاث وأربعين.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٥)، و«الإصابة» لابن حجر: (٣/ ٣٢٢).

عائشة. (قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها»[1]. وقال لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ: «يا بنية[2]، ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى. قال: فأحبي عائشة»[3])[4].

وقال للحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه[5]][6].

وأمثال هذا كثير[7].

فوصف نفسه بمحبة الأشخاص وقال: «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[8].

فعلم أن الخلة أخص[9] من مطلق المحبة بحيث هي[10] من كمالها

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (١)، ح٢٣٨٤، عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: عمر فعد رجالاً.

(٢) في «ش»: «بنته».

(٣) الحديث بطوله في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب فضل عائشة (١٣)، ح٢٤٤٢، عن عائشة، وفيه: «أيْ بنية، ألستِ تحبين ما أحب؟» فقالت: بلى. قال: «فأَحِبِّي هذه».

(٤) ما بين القوسين الصغيرين ساقط من «س».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب فضائل الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ (٨)، ح٢٤٢١، عن أبي هريرة بلفظه، إلا أن بدل: «وأحب» قوله: «وأحببت».

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من «د»، إلا قوله: «وقال لفاطمة بنته: ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى».

(٧) في «د»: «كثيرة».

(٨) سبق تخريجه في (ص٤١٣) تحت رقم (٥).

(٩) قوله: «الخلة أخص» بياض في «د».

(١٠) في «س»: «نفى» وهذا تصحيف وهو خطأ.

وتخللها المحب[1] حتى[2] يكون[3] المحبوب بها محبوبًا لذاته لا لشيء آخر؛ إذ المحبوب لشيء غيره، هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة والمزاحمة[4]؛ لتخللها المحب، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب. فالخلة[5] أيضًا تنافي[6] المزاحمة، أو تقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبًا لذاته محبة لا يزاحمه فيها غيره، وهذه المحبة لا تصلح إلا لله ـ تعالى ـ فلا يجوز أن يشركه[7] غيره[8] فيما يستحقه من المحبة، وهو محبوب لذاته وكل[9] ما يحب غيره إذا كان محبوبًا بحق فإنما يحب لأجله، وكل ما أحب لغيره فمحبته باطلة، فالدنيا ملعونة معلون ما فيها إلا ما كان لله ـ تعالى[10].

وإذا كانت الخلة كذلك، فمن المعلوم أن من أنكر أن يكون الله محبوبًا لذاته ينكر مخاللته. وكذلك أيضًا إن أنكر محبته لأحد من عباده

---

(١) في «ص» و«د» و«ش»: «للحب»، وفي «ص»: «للحب بحب».

(٢) «حتى» ساقط من «ص» و«س» و«ش»، وفي «ص» بدلاً منها: «أن».

(٣) في «س» و«ش»: «بكون».

(٤) الواو ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وفي «س»: «المتزاحمة».

(٥) في «س» و«ص» و«ش»: «ومن الخلة».

(٦) في «ص»: «ما ينافي»، وفي «ش»: «ما تنافى».

(٧) في «س»: «بشرك».

(٨) «غيره» ساقط من «ص».

(٩) في «س»: «وكما» وهو خطأ لأنه تصحيف.

(١٠) أخرج الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد، (٣٧)، باب (١٤)، ح٢٣٢٢، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

فهو ينكر أن يتخذه خليلاً، بحيث يحب الرب ويحبه[1] العبد على أكمل ما يصلح للعبادة[2]. وكذلك تكليمه لموسى عليه السلام أنكروه؛ لإنكارهم أن يقوم به صفة من الصفات[3]، أو فعل من الأفعال، فكما ينكرون أن يتصف بحياة أو قدرة أو علم، أو أن يستوي أو يجيء، فكذلك[4] ينكرون أن يتكلم أو يكلم[5]. فهذا حقيقة قولهم: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ[6] تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[7]، لكن لما كان الإسلام ظاهرًا والقرآن متلوًّا لا يمكن جحده لمن أظهر الإسلام. أخذوا يلحدون في أسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا محبة العباد له بمجرد محبتهم لطاعته أو التقرب إليه. وهذا جهل عظيم فإن محبة التقرب إلى المتقرب[8] إليه تابع لمحبته وفرع عليها[9].

فمن لا يحب الشيء لا يمكن أن يحب التقرب إليه؛ إذ التقرب[10] وسيلة ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود، فيمتنع أن تكون الوسيلة إلى

---

(١) في «ص»: «كلما يحب ذلك العبد».
وفي «س» و«ش» ساقط قوله: «ويحبه».

(٢) في «ص» و«د»: «للعباد».

(٣) قوله: «صفة من الصفات» ساقط من «ش».

(٤) في «س» و«ش»: «وكذلك».

(٥) «أو يكلم» ساقط من «ص».

(٦) قوله تعالى: ﴿مثل قولهم﴾ ساقط من «ص».

(٧) سورة البقرة، الآية: ١١٨.

(٨) في «ش»: «التقرب» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٩) في «س» و«ش» و«ص»: «وفرع عليه».

(١٠) قوله: «إليه إذ التقرب» ساقط من «ش».

الشيء[١] هي[٢] المحبوب[٣] دون، الشيء المقصود بالوسيلة، وكذلك العبادة والطاعة. وإذا قيل في المطاع المعبود: إن هذا يحب[٤] طاعته وعبادته فإن محبة ذلك تبع لمحبته، وإلا فمن لا يحب لا تحب[٥] طاعته وعبادته، ومن كان لا يعمل لغيره إلا لعوض[٦] يناله منه، أو لدفع عقوبة، فإنه يكون معاوضًا له[٧] أو مفتديًا منه، لا يكون محبًّا له[٨]، ولا يقال: إن هذا يحبه، ويفسر ذلك بمحبته طاعته وعبادته[٩]، فإن محبة المقصود وإن استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة[١٠] الوسيلة، فإن ذلك يقتضي أن يعبر[١١] بلفظين: محبة العوض، والسلامة عن محبة العمل، أما محبة الله فلا تعلق لها بمحبة مجرد[١٢] العوض.

---

(١) «إلى الشيء» ساقط من «س» و«ش».

(٢) في «س» و«ش»: «في» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «ص»: «المحبوبة».

(٤) في «ص»: «تجب».

(٥) في «س»، و«د» و«ش»: «يحب».

(٦) في «د»: «لغرض».

(٧) «له» ساقط من «ص».

(٨) قوله: «مفتديًا منه، لا يكون محبًّا له» ساقط من «ص».

(٩) «وعبادته» ساقط من «س».

(١٠) اتفقت النسخ «س» و«ص» و«ش» و«د» على عبارة لا يستقيم عليها الكلام وهي «أو غير محبة المقصود عن محبة الوسيلة»، وما أثبت في النص بدلاً عنها وهو «أو غير محبة الوسيلة» من مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٧٠)، ومطبوعة الخطيب: (ص٦٩)، وبها يستقيم الكلام.

(١١) في «د»: «تقتضتي أن يغير» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١٢) في «د»: «بمجرد»، وفي مطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٧٠)، ومطبوعة الخطيب (ص٦٩): «بمجرد محبة».

ألا ترى أن من استأجر أجيرًا بعوض لا يقال: إن الأجير يحبه لمجرد[1] ذلك. بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال، بل من يبغضه. وكذلك من افتدى[2] نفسه بعمل من[3] عذاب[4] معذب لا يقال: إنه يحبه، بل يكون[5] مبغضًا له، فعلم أن ما وصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونه[6] يمتنع أن لا يكون معناه إلا مجرد[7] محبة العمل الذي ينالون[8] به بعض الأعراض[9] المخلوقة من غير أن يكون ربهم لا يحب[10] أصلاً[11].

وأيضًا فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم[12] ولهذا كان الحب للبشر[13] على طبقات:

أحدها: العلاقة ـ وهو تعلق القلب بالمحبوب.

ثم الصبابة ـ وهو انصباب القلب إليه.

---

(١) في «س» و«ش»: «بمجرد».

(٢) في «س»: «أفدى» وهذا تصحيف.

(٣) في «د»: «عن».

(٤) في «س»: «عذاب الله» وهو خطأ من الناسخ.

(٥) في «ص»: «بل كثيرًا ما يكون».

(٦) في «ش» و«س»: «يحبوه به» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٧) في «س» و«د» و«ش»: «بمجرد».

(٨) قوله: «العمل الذين ينالون» بياض في «د».

(٩) في «د»: «الأعواض»، وفي «س» و«ش»: «الأغراض».

(١٠) في «د»: «محبوبًا»، وفي «س» و«ش»: «محبوبًا به».

(١١) «أصلاً» بياض في «د».

(١٢) تقدم في (ص. . . ، وما بعدها).

(١٣) «للبشر» ساقط من «د».

ثم الغرام ـ وهو الحب اللازم.

ثم العشق، وآخر المراتب هو التتيم[١]، وهو التعبد للمحبوب[٢].

والمتيم[٣] المعبد[٤]، وتيم الله عبد الله.

فإن المحب يبقى قلبه معبدًا[٥] مذللاً[٦] لمحبوبه. وأيضًا فاسم الإنابة إليه يقتضي[٧] المحبة أيضًا، وما أشبه ذلك من الأسماء كما تقدم. وأيضًا فلو كان هذا الذي قالوه حقًّا لكان ذلك مجازًا لما فيه من الحذف، والإضمار والمجاز لا يطلق إلا بقرينة[٨] تبين المراد. ومعلوم أن ليس في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفي أن يكون الله محبوبًا، وأن لا يكون المحبوب[٩] إلا الأعمال لا في[١٠] الدلالة[١١] المتصلة ولا[١٢] المنفصلة، بل ولا في العقل أيضًا، وأيضًا[١٣] فمن علامات المجاز صحة

---

(١) في «س»: «التتميم» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «س»: «المحبوب» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «س»: «المتم» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) في «د»: «المبعد» وهذا تصحيف وهو خطأ، وفي «س»: «المعبود» وهذا تحريف خطأ.

(٥) في «د»: «مبعد» وهذا تصحيف، وفي «س»: «معبودًا» وهذا تحريف وكلاهما خطأ.

(٦) في «س»: «مذلولا».

(٧) في «س» و«ش»: «تقتضي».

(٨) في «ص»: «القرينه».

(٩) في «س»: «محبوبا».

(١٠) قوله: «الأعمال لا في» بياض في «د»، وفي «س» ساقط: «لا».

(١١) في «د»: «الأدلة».

(١٢) «لا» ساقط من «س».

(١٣) «وأيضًا» ساقط من «ص» و«د» و«س».

إطلاق نفيه[١]، فيجب أن يصح[٢] إطلاق القول: بأن الله لا يُحَبُّ ولا يُحِب، كما أطلق إمامهم الجعد بن درهم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، ومعلوم[٣] أن هذا ممتنع بإجماع المسلمين.

فعلم دلالة الإجماع على أن هذا ليس مجازًا، بل هي[٤] حقيقة، وأيضًا فقد فرق الله[٥] بيَّن محبته ومحبة العمل له، في قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾[٦]. كما فرق[٧] بين محبته ومحبة رسوله، في قوله تعالى: [﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾][٨] فلو كان المراد بمحبته ليس إلا محبة العمل، لكان هذا تكريرًا أو من باب عطف الخاص على العام، وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير إليه إلا بدلالة تبين المراد. وكما أن محبته لا يجوز أن تفسر بمجرد محبة رسوله، فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل له. وإن كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل به، وأيضًا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا[٩]

---

(١) بياض في «ص» محل «نفيه».

(٢) في «س»: «ألا يصح» وهو خطأ مخالف لما قبله.

(٣) في «س» و«ش»: «وممنوع» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٤) «هي» ساقطة من «د».

(٥) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٦) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٧) «كما فرق» ساقط من «س».

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٩) «لا» ساقط من «ص» و«س» وهو بياض في «س» وفي «د»: «تكون»، وفي مطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٧٢)، ومطبوعة الخطيب (ص٦٩): «لا عن محبة نفسه»، و«لا» التي أثبتت في النص من نسخة العراق. =

بمحبة[١] نفسه أمر[٢] لا يعرف في اللغة لا حقيقة ولا مجازًا، فحمل الكلام عليه تحريف محض أيضًا[٣].

وقد قررنا في مواضع من القواعد[٤] الكبار أنه لا يجوز أن يكون غير الله محبوبًا مرادًا لذاته، كما لا يجوز أن يكون غير الله موجودًا بذاته، بل لا رب إلا الله، ولا إله غيره. والإله: هو[٥] المعبود الذي[٦] يستحق[٧] أن يحب لذاته، ويعظم لذاته، بكمال[٨] المحبة والتعظيم، وكل مولود يولد[٩] على الفطرة، فإن الله[١٠] سبحانه فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله وحده، وإلا فكل[١١] ما أحبه المحب[١٢] من[١٣] مطعوم[١٤] وملبوس ومنظور ومسموع

---

(١) في «د»: «محبة نفسه».

(٢) في «د» و«س»: «أمرا».

(٣) «أيضًا» ساقط من «س» و«ش».

(٤) انظر على سبيل المثال: «الفتاوى» لابن تيمية: (١٠/ ٦٠٧)، وانظر: «قاعدة المحبة» المخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود برقم (٩٣٣) فيلم.

(٥) في «ش»: «وهو الإله».

(٦) «الذي» ساقط من «ش».

(٧) في «ش»: «المستحق».

(٨) في «س» و«د» و«ش»: «كمال».

(٩) «يولد» ساقط من «س» و«ش».

(١٠) في «ص»: «فالله».

(١١) في «د»: «فما»، وفي «س» و«ش»: «كما».

(١٢) في «د»: «المحبوب»، وفي «س» و«ش»: «المحبين» وهو خطأ بدليل الضمير في «نفسه».

(١٣) «من» ساقط من «س» و«ش».

(١٤) في «س»: «فطعوم»، وفي «ش»: «فمطعوم» وكلاهما تصحيف.

وملموس، يجد في[1] نفسه أن قلبه يطلب شيئًا[2] سواه، ويحب أمرًا غيره يتألهه، ويصمد إليه، ويطمئن إليه[3] ويرى ما يشبهه[4] من هذه الأجناس، ولهذا قال سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[5].

وفي الحديث الصحيح عن عياض بن حمار[6] عن النبي ﷺ عن الله تعالى أنه قال: «إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْللتُ لهم، وأمرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا»[7].

كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة[8]

---

(١) في «س» و«ش»: «من».

(٢) «شيئًا» ساقط من «س» و«ش».

(٣) «ويطمئن إليه» ساقط من «ص».

(٤) في «د»: «ما أشبهه».

(٥) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٦) عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي الدارمي التميمي نزل بالبصرة من كرام الصحابة، وروى عن النبي ﷺ ثلاثين حديثًا ومات سنة خمسين من الهجرة ـ رضي الله عنه ـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٠).

(٧) هو حديث طويل أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب (٥١)، باب (١٦)، ح٢٨٦٥/ ٦٣، عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني. يومي هذا كل مال نحلته عبدًا حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. وحرمت عليهم ما أحللت لهم. وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا . . . » إلخ الحديث.

وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ١٦٢) من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

(٨) بياض في «د».

بهيمة[1] جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء». ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: اقرأوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2]، وأيضًا فكل[3] ما فطرت القلوب على محبته من[4] نعوت الكمال فإن[5] الله هو المستحق [لأعلى الكمال[6]، وكل ما في غيره من محبوب فهو منه[7] سبحانه وتعالى، فهو المستحق][8] لأن يحب على الحقيقة والكمال وإنكار محبة العبد لربه، هو[9] في الحقيقة إنكار لكونه[10] إلهًا معبودًا[11]، كما أن[12] إنكار محبته لعبده يستلزم

---

(١) «بهيمة» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

والحديث في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب (٧٩)، ح١٣٥٨، عن أبي هريرة بلفظ نحوه.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (٦)، ح٢٦٥٨/ ٢٢، عن أبي هريرة بلفظ نحوه.

(٣) في «ص»: «فكما» وهذا تصحيف.

(٤) «من» ساقط من «ص».

(٥) في «ص»: «فالله».

(٦) في «د»: «له على الكمال»، وفي «س»: «لكل كمال».

(٧) «منه» ساقط من «س».

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٩) في «د»: «فهو».

(١٠) في «س» و«ص» و«ش»: «كونه».

(١١) في «س»: «إله»، وفي «ش»: «معبود» وهو خطأ.

(١٢) «أن» ساقط من «س».

إنكار مشيئته، وهو مستلزم[١] إنكار كونه ربًّا خالقًا، فصار إنكارها[٢] مستلزمًا[٣] لإنكار كونه رب العالمين. ولكونه إله العالمين[٤]، وهذا هو[٥] قول أهل التعطيل والجحود، ولهذا اتفقت الأمتان[٦] قبلنا على ما عندهم من مأثور[٧] وأحكام عن[٨] موسى وعيسى صلوات الله عليهما وسلامه أن أعظم الوصايا[٩]: أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وقصدك[١٠]. وهذا هو[١١] حقيقة الحنيفية ملة إبراهيم، التي هي أصل شريعة[١٢] التوراة والإنجيل[١٣] والقرآن، وإنكار ذلك هو مأخوذ عن المشركين[١٤]

---

(١) في «س» و«ش»: «يستلزم».

(٢) في «ص»: «إنكارهما».

(٣) في «س»: «مستلزم».

(٤) قوله: «ولكونه إله العالمين» ساقط من «س».

(٥) «هو» ساقط من «س».

(٦) في «ص»: «الأنبياء» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٧) في «س» و«ص» و«ش»: «أمور».

(٨) «عن» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٩) في «س» و«ص» و«ش»: «الوصية التي هي أن يا موسى» وجاء في الكتاب المقدس إنجيل متى (٢٢/ ٣٦ ـ ٣٧)، في بيان الوصية العظمى ما نصه: (.. قائلاً يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى) اهـ.

(١٠) «وقصدك» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(١١) «هو» بياض في «د».

(١٢) «شريعة» ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وفي «س» و«ش» و«ص»: «في التوراة».

(١٣) «والإنجيل» بياض في «د».

(١٤) في «ص»: «من شركة الصابئين»، وفي «س» و«ش» هكذا: «مما يسر له»، وفي «ص»: «والصابئون» وهو خطأ؛ لأن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه.

والصابئين أعداء إبراهيم الخليل، ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أو مبتدع[1] أخذه من هؤلاء[2]، وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من[3] الإسماعيلية[4]، ولهذا قال الخليل إمام الحنفاء صلوات الله عليه وسلامه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

وقال أيضًا[6]: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[8]، وهو السليم من الشرك.

وأما قولهم: إنه لا مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له وتمتعه[9]

---

(١) «أو مبتدع» ساقط من «س» و«ش».

(٢) قوله: «أو متفقه أو مبتدع أخذه من هؤلاء» بياض في «ص».

(٣) «من» ساقط من «ص».

(٤) القرامطة من الباطنية، وهم الذين ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بقرمط، وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلاً، وقد ادعى بعض دعاتهم ميمون بن ديصان أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فسموا بالإسماعيلية، مع أن محمد بن إسماعيل مات صغيرًا ولم يعقب.

انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٢٦٥ ـ ٢٩٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني: (ص١٩١ ـ ١٩٨).

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

(٦) «أيضًا» ساقط من «ص».

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٨) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.

(٩) في «ش»: «تمنعه»، وفي «س»: تمتع»، وكلاهما تصحيف وهو خطأ.

بالنظر إليه[1] فهذا[2] الكلام مجمل، فإن أرادوا بالمناسبة أنه ليس بينهما[3] توالد[4] فهذا حق، وإن أرادوا[5] أنه ليس بينهما من المناسبة ما بين الناكح والمنكوح، والآكل والمأكول ونحو ذلك[6]، فهذا[7] أيضًا حق وإن[8] أرادوا أنه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محبًّا عابدًا، والآخر محبوبًا معبودًا[9]، فهذا هو رأس المسألة، فالاحتجاج به مصادرة[10] على[11] المطلوب. ويكفي في ذلك المنع. ثم يقال:

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة»: (٢/ ٩٧) أن هذا القول قد ذكره أبو المعالي الجويني في «الرسالة النظامية» وقال: وذكره أبو الوفاء بن عقيل في بعض كتبه.

(٢) في «ش»: «فلهذا» وهذا تصحيف.

(٣) «بينهما» ساقط من «س» و«ش».

(٤) في «س» و«ش»: «بولد» وهذا تصحيف.

(٥) في «ش»: «أراد» وهذا تصحيف.

(٦) في «د»: «هذا».

(٧) في «س»: «وهذا».

(٨) في «س»: «فإن».

(٩) في «ص»: «محبا»، وفي «ش»: «معبود»، وكلاهما تصحيف وهو خطأ.

(١٠) في «ص» و«د»: «معادره»، وفي «س» و«ش»: «معاذره»، وما أثبتناه في النص من مطبوعة «الفتاوى» لابن تيمية: (١٠/ ٧٤).

(١١) في «د»: «عن».

والمصادرة على المطلوب: هي التي تجعل النتيجة جزء القياس أو يلزم النتيجة جزء من القياس، كقولنا الإنسان بشر، وكل بشر ضحاك ينتج الإنسان ضحّاك فالكبرى ههنا والمطلوب شيء واحد؛ إذ البشر والإنسان مترادفان وهو اتحاد المفهوم فيكون الكبرى والنتيجة شيء واحد.

انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص١٣٣).

بل[1] لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة إلا المناسبة[2] التي بين المخلوق والخالق الذي لا إله غيره، الذي هو في السماء إله وفي الأرض إله وله المثل الأعلى في[3] السموات والأرض. وحقيقة قول هؤلاء جحد كون الله معبودًا[4] في الحقيقة، ولهذا وافق[5] على هذه المسألة طوائف من صوفية[6] المتكلمين الذين ينكرون أن يكون الله محبًّا في الحقيقة، فأقروا بكونه محبوبًا ومنعوا كونه[7] محبًّا لأنهم تصوفوا مع ما كانوا عليه من قول أولئك المتكلمة، فأخذوا عن الصوفية مذهبهم[8] في المحبة، [وإن كانوا قد يختلطون[9] فيه، وأصل إنكارها إنما هو قول المعتزلة ونحوهم من الجهمية][10]. فأما[11] محبة الرب عبده فهم لها أشد إنكارًا ومنكروها[12] قسمان:

---

(1) «بل» ساقط من «ص».

(2) قوله: «إلا المناسبة»: ساقط من «ص».

(3) «في» ساقط من «د».

(4) في «ش»: «معبود» وهذا تصحيف.

(5) في «ش»: «وفق» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(6) في «د»: «صوفة».

(7) «كونه» ساقط من «ش».

(8) في «س»: «مذهبه» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(9) في «ص»: «يغلطون».

(10) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

(11) في «ص»: «وأما».

(12) في «س»: «ومكروها» وهذا تصحيف وهو خطأ.

قسم يتأولونها بنفس المفعولات التي يحبها العبد، فيجعلون محبته[1] نفس خلقه. وقسم يجعلونها نفس إرادته لتلك[2] المفعولات. وقد بسطنا الكلام في[3] ذلك في «قواعد الصفات والقدر» وليس هذا موضعها.

ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة[4] على أن الله يحب ويرضى ما أمر بفعله من واجب ومستحب، وإن لم يكن ذلك موجودًا وعلى أنه[5] قد يريد وجود أمور يبغضها ويسخطها من الأعيان والأفعال؛ كالفسوق والكفر[6]، وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[8].

والمقصود هنا: إنما هو في ذكر محبة العباد لإلههم، وقد تبين أن ذلك هو أصل أعمال الإيمان، ولم يكن بين أحد[9] من سلف الأمة من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان نزاع في ذلك. وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن تحرك به من أنواع العبادات الشرعية، كالعرفان الإيماني، والسماع الفرقاني[10].

---

(١) في «ص»: «محبة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «س»: «تلك» وهذا تصحيف.

(٣) في «ص»: «على».

(٤) «سلف» ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وفي «س»: «الأئمة» وهذا تحريف وتصحيف.

(٥) «وعلى أنه» بياض في «د».

(٦) في «د»: «كالكفر والفسوق».

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٩) في «د»: «واحد» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١٠) قوله: «والسماع الفرقاني» ساقط من «د».

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[١]، ثم إنه لما طال الأمد صار في طوائف من[٢] المتكلمة، من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة[٣]، وصار في بعض المتصوفة من يطلب تحريكها بأنواع من السماع المحدث[٤]، كسماع التغبير[٥]، وسماع

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) «من» ساقط من «ش» و«د».

(٣) «المحبة» بياض في «د».

(٤) «المحدث» ساقط من «ص»، وفي طبعة الرياض للفتاوى (١٠/ ٧٦): «والحديث» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٥) في «ش» ومطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٧٦): «كالتغيير»، وفي «د»: «كابتغيير»، وما أثبتناه في النص هو الصواب؛ لأنه من غبر، والتغبير: هو الضرب بالقضيب غبَّر، أي: أثار غبارًا، وهو آلة من الآلات التي تقرن بتلحين الغناء.
انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (١/ ٢٣٨)، وقال في «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٩٥٣) في مادة «غبر»: والمُغَبِّرة قوم يغَبِّرون بذكر الله تعالى بدعاء وتضرع كما قال:

عبـــادك المُغَبِّـــرة رُشّ علينـــا المغفـــرة

قال الأزهري: (وقد سموا ما يُطَرِّبون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيرًا، كأنهم إذا تَنَاشَدُوهُ بالألحان طربوا فرقصوا وأرهجوا فسموا مغبرة لهذا المعنى. وقال الأزهري: وروينا عن الشافعي ٦ أنه قال: أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن. وقال الزجاج: سُمّوا مغبِّرين؛ لتزهيدهم الناس في الغانية وهي الدنيا وترغيبهم في الآخرة الباقية) اهـ.
وقد ذكر ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»: (ص ٢٣٠) ما ذكرناه من «لسان العرب».

المكاء[1]، والتصدية. فيسمعون من الأقوال[2] والأشعار ما فيه تحريك جنس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب، بحيث[3] يصلح لمحب الأوثان[4] والصلبان والغلمان[5] والإخوان والأوطان والمردان والنسوان، كما يصلح لمحب[6] الرحمن، ولكن كان الذين[7] يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والإمكان والخلان[8]، وربما اشترطوا له الشيخ الذي[9] يحرس من الشيطان، ثم[10] توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا فيه إلى أنواع من المعاصي، بل إلى أنواع من الفسوق، بل خرج فيه

---

(١) في «ش»: «اليكا».

(٢) في «ش»: «الأقوال».

(٣) في «ص»: «فحيث» وهو خطأ.

(٤) في «س» «ش»: «الأفكار».

(٥) «الغلمان» ساقط من «د».

(٦) في «س» و«ص» و«ش»: «لحب» وهو خطأ.

(٧) في «ش» و«ص» و«د»: «الذي».

(٨) حكى عن الجنيد أنه قال: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء، الزمان، والمكان، والإخوان. انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٦٤٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: (الذين حضروا هذا السماع من المشايخ الصالحين شرطوا له شروطًا لا توجد إلا نادرًا، فعامة هذه السماعات خارجة عن إجماع المشايخ ومع هذا فأخطأوا. والله يغفر لهم خطأهم فيما خرجوا به عن السنة ـ وإن كانوا معذورين، والسبب الذي أخطأوا فيه، أوقع أممًا كثيرًا في المنكر الذي نهوا عنه) اهـ.

انظر: «التصوف» لابن تيمية في «الفتاوى»: (١١/ ٥٩٧).

(٩) «الذي» ساقط من «س» و«ش».

(١٠) «ثم» ساقط من «س».

طوائف إلى الكفر الصريح، بحيث يتواجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد[1] مما هو من أعظم أنواع[2] الفساد.

[وينتج لهم ذلك من الأحوال بحسبه، كما تنتج[3] لعباد المشركين، وأهل الكتاب عباداتهم[4] بحسبها][5]، والذي عليه محققو المشايخ؛ أنه كما قال الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[6]: من تكلف السماع فتن به، ومن صادفه السماع استراح به[7]. ومعنى ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث،

---

(١) في «د» و«ش» و«ص» و«ش»: «والاتحاد» وهو خطأ، والذي أثبتناه في النص من مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٧٦).

(٢) «أنواع» ساقط من «س» و«ش».

(٣) في «ص» و«د»: «ينتج».

(٤) في «س»: «عبادتهم».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٦) في «س» و«ص» و«ش» و«د»: «رضي الله عنه»، والذي أثبته في النص ضمن مطبوعة «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٠/ ٧٦).

(٧) في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٦٤٥): (سمعت الجنيد يقول: السماع فتنة لمن طلبه، ترويح لمن صادفه).

والجنيد: هو أبو القاسم الجنيد محمد بن الجنيد البغدادي، اشتهر بلقب سيد الطائفتين «الصوفية» وإمامهم، أصله من نهاوند، وُلد ونشأ بالعراق وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري، وكان فقيهًا على مذهب الإمام أبي ثور مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

من كلامه: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام).

وقال: (من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، أي: التصوف؛ لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ. =

ولا يؤمر به، ولا يتخذ ذلك دينًا وقربة. فإن القرب والعبادات إنما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم[1]، فكما أنه لا حرام[2] إلا ما حرمه الله فلا دين[3] إلا ما شرعه الله.

قال الله[4] تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[5]، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6] فجعل محبتهم لله[7] موجبة لمتابعة رسوله[8] وجعل متابعة رسوله[9] موجبة لمحبة الله لهم.

قال أُبيُّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه[10] ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله تعالى [فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات[11] الورق اليابس عن الشجر، وما من

= انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/١١٦ ـ ١١٩)، و«الحلية» لأبي نعيم: (١٠/٢٥٥)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٢/٤١٦ ـ ٤٢٥).

(١) في «د»: «عن الرسول ﷺ».

(٢) في «ش»: «لا حرم» وهذا تصحيف.

(٣) في «س»: «ولا دين» وهذا تصحيف.

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «ص»، و«د».

(٥) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣١، وقوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ ساقط من «ص» و«س» و«د».

(٧) في «س» و«ش»: «له».

(٨) في «ص»: «الرسول».

(٩) في «ص»: «الرسول».

(١٠) في «س»: «فإنما».

(١١) في «د»: «يحاث» وهذا تصحيف وهو خطأ.

عبد على السبيل والسنة ذكر الله][1] خاليًا ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبدًا، وإن اقتصادًا في سبيل[2] وسنة، خير من اجتهاد في خلاف[3] سبيل وسنة، فاحرصوا أن تكون[4] أعمالكم إن كانت اقتصادًا أو اجتهادًا على منهاج الأنبياء وسنتهم[5]. وهذا[6] مبسوط في غير[7] هذا الموضع.

فلو كان هذا مما يؤمر به ويستحب، وتصلح[8] به القلوب، للمعبود المحبوب[9] لكان ذلك مما دلت[10] الأدلة الشرعية عليه[11].

ومن المعلوم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة، التي قال فيها النبي ﷺ: «خير القرون قرني[12] الذي بعثت فيه[13]، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[14].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٢) في «ش»: «سبيل الله».

(٣) في «س»: «بغير»، وفي «ص» و«ش»: «غير».

(٤) في «س»: «يكون».

(٥) انظر هذا الكلام في «الحلية» لأبي نعيم: (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥٦)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٤٤٦)، و«الزهد» لابن المبارك: (٤/ ٢١ ـ ٢٢) في زيادة نعيم بن حماد.

(٦) في «د»: «إن هذا».

(٧) «غير» ساقط من «ش».

(٨) في «ش» و«د» و«س»: «يصلح».

(٩) في «س» و«ص» و«ش»: «المحمود».

(١٠) في «س» و«ص»: «دلت عليه».

(١١) «عليه» ساقط من «ص».

(١٢) في «ص» و«د»: «القرن».

(١٣) قوله: «الذي بعثت فيه» ساقط من «س» و«ش».

(١٤) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٧، كتاب فضائل الصحابة (٦٢)، باب (١)، ح٣٦٥٠، عن عمران بن حصين ـ رضي الله=

لا في الحجاز[١]، ولا في الشام، ولا في اليمن، ولا في العراق، ولا في مصر، ولا في خراسان، أحد من أهل[٢] الخير والدين يجتمع[٣] على السماع المبتدع[٤] لصلاح[٥] القلوب، ولهذا[٦] كرهه[٧] الأئمة، كالإمام أحمد وغيره، وعند[٨] الشافعي هو[٩] من إحداث الزنادقة، حين قال[١٠]: خلفت ببغداد شيئًا[١١] أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير[١٢] يصدون به[١٣] الناس عن[١٤] القرآن[١٥].

= عنهما ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . . . إلخ» الحديث.

(١) في «ص»: «ولا في مصر».

(٢) «أهل» ساقط من «د».

(٣) في «س» و«ش»: «يجمع»، وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) «المبتدع» ساقط من «ص».

(٥) في «ص»: «لاصلاح».

(٦) في «د»: «وهذا».

(٧) في «ص»: «كره ذلك»، وفي «س» و«ش»: «كره»، وانظر كلام الأئمة في كراهته في «تلبيس إبليس» لابن الجوزي: (ص٢٢٨ ـ ٢٣٠).

(٨) في «د» بياض، وفي المطبوعة نشر محب الدين الخطيب (ص٧٢): «وعده»، وفي «فتاوى الرياض» لابن تيمية (ص٧٧): «حتى عده».

(٩) «هو» ساقط من «د».

(١٠) «قال» ساقط من «ش».

(١١) في «د» بعد «شيئًا» جملة هي: «يقال له التغبير».

(١٢) قوله: «يسمونه التغبير» ساقط من «د».

(١٣) «به» ساقط من «ص».

(١٤) في «ص»: «به».

(١٥) ذكر هذا الكلام ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»: (ص٢٣٠).

وأما ما لم[1] يقصده الإنسان من الاستماع، فلا يترتب عليه نهي[2] ولا ذم باتفاق الأئمة، ولهذا[3] إنما يترتب الذم والمدح[4] على الاستماع، لا على السماع، فالمستمع للقرآن يثاب[5] عليه، والسامع له بدون قصد وإرادة، لا يثاب على ذلك؛ إذ الأعمال بالنيات.

وكذلك ما ينهى عن استماعه من الملاهي، لو سمعه السامع بدون قصده لم يضره ذلك. فلو سمع السامع بيتًا يناسب بعض حاله فحرك[6] ساكنه المحمود [وأزعج قاطنه المحبوب، أو بمثل ذلك، ونحو هذا[7]، لم يكن هذا مما ينهى عنه، وإن[8] كان[9] المحمود][10] الحسن حركة قلبه التي يحبها الله ورسوله إلى محبته؛ التي تتضمن فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله، كالذي اجتاز ببيت[11] فسمع قائلاً يقول:

كـــل يــــوم تتلـــون غير[12] هذا بك أحمد[13]

---

(١) «لم» ساقط من «ش».

(٢) في «د»: «لا نهي».

(٣) في «د»: «وهذا».

(٤) في «س» و«ش» و«د»: «الذم والحمد».

(٥) في «س»: «أن يثاب» فزيادة «أن» خطأ.

(٦) في «س» و«ش»: «تحرك» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٧) في «د»: «أو تمثل بذلك ونحو ذلك».

(٨) «وإن» ساقط من «د».

(٩) «كان» ساقط من «س».

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(١١) في «د»: «بيتا».

(١٢) في «س»: «وغير».

(١٣) في «س» و«ش»: «أجمل».

فأخذ منه إشارة تناسب حاله، فإن الإشارات هي[1] من باب القياس والاعتبار وضرب الأمثال. ومسألة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع[2].

والمقصود هنا: أن المقاصد المطلوبة[3] للمريدين، تحصل بالسماع الإيماني القرآني النبوي الديني الشرعي، الذي هو سماع النبيين، وسماع العالمين، وسماع العارفين، وسماع المؤمنين، قال الله[4] تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

---

(١) «هي» ساقط من «ص».

(٢) انظر على سبيل المثال: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (١١/ ٥٥٧، وما بعدها)، وانظر أيضًا في مسألة السماع كتاب «الاستقامة» لابن تيمية: (١/ ٢١٦).

(٣) في «ش»: «القاصد المطلوب» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «د».

(٥) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٦) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩، وقوله تعالى: ﴿يبكون﴾ ساقط من «د».

(٧) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

وقوله تعالى: ﴿يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ ساقط من «س» و«ص» و«ش».

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[2].

وكما مدح المقبلين على هذا السماع، فقد ذم المعرضين عنه، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ [أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾][3] وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[8]، ومثل هذا كثير في القرآن.

وهذا كان[9] سماع سلف الأمة، وأكابر مشايخها، وأئمتها،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(٣) وقوله تعالى: ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ ساقط من «ص»، وبدلاً منه: «إلى قوله».

(٤) سورة لقمان، الآيتان: ٦، ٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٧٣.

(٦) سورة المدثر، الآيات: ٤٩ ـ ٥١.

(٧) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

(٨) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(٩) «كان» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشايخ، كإبراهيم بن أدهم[1] والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني[2] ومعروف الكرخي[3]، ويوسف بن أسباط[4]، وحذيفة المرعشي[5]، وأمثال هؤلاء[6].

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي، يكنى أبا إسحاق، زاهد مشهور، كان من أبناء أهل الغنى، ترك الدنيا وخرج إلى مكة وصحب الثوري وتوفي بالشام سنة ١٦١هـ.
انظر: «صفة الصفوة»: (٤/ ١٥٢ ـ ١٥٨)، و«حلية الأولياء»: (٧/ ٣٦٧).
يقول ابن رجب في «الذيل» (١/ ٤١٨): إن ابن الجوزي جمع أخبار إبراهيم في كتاب مستقل يتكون من ستة أجزاء.
وانظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٥٤ ـ ٥٧)، و«عوارف المعارف» للسهروردي: (١/ ٥٧).

(٢) أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني «وداران» قرية من قرى دمشق، مات سنة خمس عشرة ومائتين، كان يقول: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة.
انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٩٦ ـ ٩٨).

(٣) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، نسبة إلى «كرخ» وهي قرية ببغداد وهو من المشهورين بالزهد والورع، وهو من موالي علي بن موسى الرضا ـ رضي الله عنه ـ، أسلم معروف على يده، وكان أبواه نصرانيين، مات سنة مائتين، وقيل: سنة إحدى ومائتين.
انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٦٥ ـ ٦٨)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٢/ ٣١٨ ـ ٣٢٤).

(٤) سبقت ترجمته في (ص٣٠٢).

(٥) هو حذيفة بن قتادة المرعشي، اشتهر بالزهد والورع، وصحبه يوسف بن أسباط.
انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠)، و«طبقات الشعراني»: (١/ ٦٢).

(٦) في «د»: «ومثل هؤلاء».

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فيقرأ، وهم يستمعون[1] ويبكون. وكان أصحاب محمد ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم أن يقرأ والباقي يستمعون، وقد ثبت في «الصحيح»: «أن النبي ﷺ مر بأبي موسى الأشعري، وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال: لقد أوتي مزمارًا[2] من مزامير آل[3] داود»[4].

وقال: «مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت أستمع لقراءتك، فقال: لو علمت أنك تسمع[5] لحبرته لك تحبيرًا»[6]، أي: لحسنته لك

---

(١) في «س»: «يسمعون».

(٢) «مزمارا» ساقط من «د».

(٣) «آل» ساقط من «ص» و«ش».

(٤) أخرج مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب صلاة المسافرين (٦)، باب (٣٤)، ح٢٣٦/٧٩٣، عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.
وأخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٩، كتاب فضائل القرآن (٦٦)، باب (٣١)، ح٥٠٤٨، عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.
وأخرجه الترمذي في «السنن» في كتاب المناقب، حديث (٣٩٤٦)، عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أبا موسى لقد أعطيت مزمارًا من مزامير آل داود». قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن صحيح.
وأخرجه الدارمي في «سننه»: (٢/ ٤٧٢)، كتاب فضائل القرآن، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرفوعًا بلفظه.

(٥) في «ص»: «تستمع».

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٤٦٦)، في كتاب معرفة الصحابة في مناقب أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن أبي بردة بن أبي موسى قال: مر النبي ﷺ=

تحسينًا، وقال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[1]، وقال: «لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[2]. أشد[3] أذنًا، أي: استماعًا[4]، كقوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[5]، أي:

= بأبي موسى ذات ليلة ومعه عائشة وأبو موسى يقرأ، فقاما فاستمعا لقراءته ثم مضيا، فلما أصبح أبو موسى وأتى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «مررت بك يا أبا موسى البارحة وأنت تقرأ، فاستمعنا لقراءتك فقال أبو موسى: يا نبي الله، لو علمت بمكانك لحبرت لك تحبيرًا» قال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي.

(1) أخرجه الدارمي في «سننه»: (٢/ ص٤٧٤)، كتاب فضائل القرآن، عن البراء مرفوعًا بلفظه.
وأخرجه البخاري في كتابه معلقًا. انظر: «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم» (٥٢).
وقد أخرجه في كتاب «خلق أفعال العباد»: (ص٤٩ ـ ٥٠)، من رواية عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ـ رضي الله عنه ـ.
وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ٢٨٣) عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(2) أخرجه ابن ماجه في «سننه»: ج١، كتاب إقامة الصلاة (٥)، باب (١٧٦)، ح١٣٤٠، عن فضالة بن عبيد ـ رضي الله عنه ـ بلفظه مع زيادة عند ابن ماجه هي «يجهر به» بعد كلمة «بالقرآن» و«أذنا» بفتحتين بمعنى: استماعا.
وأخرجه البخاري بلفظه في كتابه «خلق أفعال العباد»: (ص٤٩)، عن فضالة بن عبيد ـ رضي الله عنه ـ. وقال في «الزوائد»: إسناده حسن.
والقينة: هي الأمة مغنية أو غير مغنية. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٥٦٠).

(3) «أشد» ساقط من «س» و«د» و«ش».

(4) في «ش» و«س»: «اسماعا» وهذا تحريف وهو خطأ.

(5) سورة الانشقاق، الآية: ٢.

استمعت. وقال ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن يجهر به»[(١)]، وقال: «ليس[(٢)] منا من لم يتغن بالقرآن»[(٣)].

ولهذا السماع من المواجيد[(٤)] العظيمة، والأذواق[(٥)] الكريمة، ومزيد المعارف والأحوال الجسيمة، ما لا يسعه[(٦)] خطاب، ولا يحويه كتاب، كما أن لتدبر[(٧)] القرآن وتفهمه من مزيد العلم والإيمان ما لا يحيط به بيان.

ومما ينبغي التفطن له: أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[(٨)].

---

(١) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦)، باب (٣٤)، ح٧٩٢/ ٣، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٢) «ليس» ساقط من «د».

(٣) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب (٤٤)، ح٧٥٢٧، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». وزاد غيره «يجهر به». وقوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» قد فسره الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما بأنه من الصوت فيحسنه بصوته، ويترنم به بدون التلحين المكروه، وفسره ابن عيينة وأبو عبيد وغيرهما بأنه الاستغناء به. وهذا وإن كان له معنى صحيح، فالأول هو الذي دل عليه الحديث فإنه قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن ويجهر به» وفي الأثر: (إن العبد إذا ركب الدابة أتاه الشيطان وقال له: تغن، فإن لم يتغن قال له: تمن» فإن النفس لابد لها من شيء في الغالب تترنم به. فمن لم يترنم بالقرآن ترنم بالشعر. انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (١١/ ٥٣٢).

(٤) انظر كلامنا على الوجد في القسم الأول من هذه الرسالة: (ص٦٢).

(٥) انظر كلامنا على الذوق في القسم الأول من هذه الرسالة: (ص٧٠).

(٦) في «د»: «يستمع له»، وفي «س» و«ش»: «ما لا يتسع له».

(٧) في «د»: «لتدبير» وهذا تصحيف.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله تعالى، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾. فبيَّن سبحانه أن محبة الله توجب اتباع الرسول، وأن اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة[1] امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله، فإن[2] هذا الباب يكثر فيه الدعاوى والاشتباه[3].

ولهذا يروى عن ذي[4] النون المصري[5] أنهم كانوا تكلموا في مسألة

---

(١) في «س» و«ش»: «محنة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «د»: «لأن».

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (١/٣٥٨): (وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ولهذا قال تعالى: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾، أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾) انتهى كلامه رحمه الله.

(٤) في «ش»: «ذا» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٥) أبو الفيض ذو النون المصري، واسمه: ثوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيض بن إبراهيم. وكان أبوه من أهل النوبة، وكان من أهل الورع، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وسعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده إلى مصر مكرمًا. ومن كلامه: من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه. وقيل: توفي في يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ست وأربعين ومائتين. =

المحبة عنده، فقال: اسكتوا عن هذه المسألة لئلا تسمعها النفوس فتدعيها[1]. وقال بعضهم: (من[2] عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده[3] بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده[4] بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده[5] بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)[6]؛ وذلك لأن الحب المجرد ودعواه تتبسط النفوس فيه حتى تتوسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع[7] الخشية لله[8]. حتى قالت اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[9]. ويوجد في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة ما لا يوجد في أهل الخشية، ولهذا قرن الخشية بها في[10] قوله تعالى:

= انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/ ٣١٥ ـ ٣٢١)، و«الحلية» لأبي نعيم: (٩/ ١٠ ـ ٥)، و«الرسالة القشيرية»: (١/ ٥٨ ـ ٦١).

(١) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٦٢٢)، وفيهما: (كنا عند ذي النون المصري، فتذاكرنا المحبة، فقال ذو النون: كفوا عن هذه المسألة، لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول:

الخوف أولى بالمسيء إذا تـألـه والحـزن
والحب يجمل بالتقي وبالنقي مـن الـدرن

(٢) «من» ساقط من «س».

(٣) في «د»: «عبد الله».

(٤) في «د»: «عبد الله».

(٥) في «د»: «عبد الله».

(٦) هذا القول يروى عن مكحول الدمشقي، كما قال ذلك أبو طالب المكي صاحب «قوت القلوب»: (١/ ٢٤٢)، والغزالي في «الإحياء»: (٤/ ١٥٥).

(٧) في «د»: «يدعها وادع» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٨) قوله: «إذا لم يزعها وازع الخشية لله» بياض في «ص».

(٩) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(١٠) «في» ساقط من «د»، وقوله: «في قوله تعالى» ساقط من «س».

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾[١].

[وكان المشايخ المصنفون في السنة يذكرون في عقائدهم مجانبة من يكثر دعوى المحبة والخوض فيها من غير خشية، لما في ذلك من الفساد، الذي وقع فيه طوائف من المتصوفة وما وقع في هؤلاء من فساد الاعتقاد والأعمال، أوجب إنكار طوائف لأصل طريقة المتصوفة بالكلية، حتى صار المنحرفون صنفين: صنف يقر بحقها وباطلها، وصنف ينكر حقها وباطلها، كما عليه طوائف من أهل الكلام والفقه. والصواب إنما هو الإقرار بما فيها وفي غيرها من موافقة الكتاب والسنة، والإنكار لما فيها وفي غيرها من مخالفة الكتاب والسنة][٢].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[٣]، فاتباع سنة رسوله ﷺ وشريعته باطنًا وظاهرًا، هي موجب[٤] محبة الله، كما أن الجهاد في سبيله وموالاة[٥] أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها، كما في الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»[٦].

---

(١) سورة ق، الآيات: ٣٢ ـ ٣٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) في «س» و«ص» و«ش»: «توجب».

(٥) في «د»: «بموالاة»، وفي «ص» و«ش»: «موالاة».

(٦) ذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير»: (٢/٣٤٣، ح٢٥٣٦)، عن ابن عباس وقال: حسن. وعزاه إلى «مسند الإمام أحمد» و«المستدرك» للحاكم، وذكره في «الأحاديث الصحيحة»: برقم (١٧٢٨).

وفي الحديث: «من أحب[1] لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[2].

وكثير ممن يدعي المحبة وهو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن الأمر بالمعروف وعن النهي عن المنكر، والجهاد في سبيله، ويدعي مع هذا أن ذلك أكمل لطريق المحبة [من غيره، لزعمه أن طريق المحبة لله][3] ليس فيه غيره ولا غضب لله، وهذا خلاف لما دل عليه الكتاب والسنة. ولهذا جاء[4] في الحديث المأثور: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟[5] اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»[6]. فقوله: «المتحابون بجلال الله»، تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب[7] فيه، وبذلك يكونون حافظين[8] لحدوده، دون الذين لا يحفظون حدوده، لضعف الإجلال في قلوبهم، وهؤلاء هم الذين جاء

---

(١) في «س»: «أحب في الله».

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب صفة القيامة (٣٨)، باب (٦٠)، ح٢٥٢١، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.
وأخرجه أحمد في «مسنده»: (٣/ ٤٤٠).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٤) «جاء» ساقط من «س» و«د»، وفي «ش»: «قال».

(٥) في «س» و«ش»: «لجلالي».

(٦) قوله: «يوم لا ظل إلا ظلي» ساقط من «ش».
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب (١٢)، ح٢٥٦٦، عن أبي هريرة بلفظه.

(٧) في «س» هكذا: «اتجاز».

(٨) في «س» و«ش»: «حافظون».

فيهم الحديث: «حقت محبتي للمتحابين فيَّ، [وحقت محبتي للمتجالسين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ]»[1].

والأحاديث في المتحابين في الله[2] كثيرة، وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة قال[3]: «سبعة يظلهم الله[4] في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل[5] قلبه معلق[6] بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».
والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بألفاظ متقاربة نحوه: (٥/ ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٧).
وأخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» بشرحه «فيض القدير»: (٤/ ٤٨٨)، عن عبادة ابن الصامت مرفوعًا: «قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ. المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء» ورمز له السيوطي بالصحة.
وقال الهيثمي: رجال أحمد والطبراني موثقون.
وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير»: (٤/ ١١٧، ح٤١٩٧)، عن عبادة بن الصامت. وقال: صحيح. وعزاه إلى «مسند الإمام أحمد» والطبراني والحاكم. وقال في «تخريج الترغيب» (٤/ ٤٧).
والبذل: ضد المنع، وكل من طابت نفسه بإعطاء شيء فهو باذل له.
انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (١/ ١٨١)، مادة: «بذل».

(٢) في «س» و«ش»: «المتحابين لله».

(٣) «قال» ساقط من «ش».

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «ص».

(٥) في «ش»: «ورجب» وهذا تصحيف وتحريف وهو خطأ.

(٦) في «س» و«د» و«ش»: «متعلق».

واجتمعا على ذلك وتفرقا عليه[1]، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت[2] يمينيه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة[3] ذات منصب[4] وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين»[5].

وأصل المحبة: هو[6] معرفة الله سبحانه[7] ولها أصلان: أحدهما: وهو يقال[8] له[9]: محبة العامة[10]، محبته لأجل[11] إحسانه إلى العباد

---

(١) في «س» و«ش»: «وافترقا عليه».
(٢) في «ص»: «تنفق».
(٣) «امرأة» ساقط من «د» و«ش».
(٤) في «س» و«ص» و«ش»: «نسب».
(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الزكاة (٢٤)، باب (١٦)، ح١٤٢٣، عن أبي هريرة بلفظ مقارب فيه تقديم وتأخير، وليس فيه قوله: «رب العالمين» وقوله: «إذا خرج منه حتى يعود إليه» ليس في «صحيح البخاري» ولا «صحيح مسلم» وهو في «سنن الترمذي».
وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (٥٣)، ح٢٣٩١، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد بلفظ مقارب فيه تقديم وتأخير. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب (٣٠)، ح١٠٣١/ ٩١، عن أبي هريرة بلفظ مقارب فيه تقديم وتأخير وليس فيه قوله: «رب العالمين».
(٦) في «ص»: «هي».
(٧) في «ص»: «تعالى».
(٨) في «د»: «ينال به»، وفي «ش»: «يقول».
(٩) ساقط من «د» و«ش»، وفي «ص»: «أن».
(١٠) في «د»: «محبته التامة».
(١١) في «ص» و«ش»: «محبة».

وهذه المحبة[1] على هذا[2] الأصل لا ينكرها أحد، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المنعم المحسن إلى عبده[3] بالحقيقة[4].

فإنه[5] المتفضل[6] بجميع النعم، وإن[7] جرت بواسطة؛ إذ هو ميسر الوسائط، ومسبب الأسباب، ولكن هذه المحبة في الحقيقة إذا لم تجذب[8] القلب إلى محبة الله نفسه، فما[9] أحب العبد في الحقيقة إلا[10] نفسه، [وكذلك كل من أحب شيئًا لأجل إحسانه إليه، فما أحب في الحقيقة إلا نفسه][11]. وهذا ليس بمذموم بل محمود، وهذه المحبة هي المشار إليها بقوله ﷺ: «أحبوا الله لما[12] يغذوكم به[13] من نعمة، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي»[14]. والمقتصر على هذه

---

(١) «المحبة» ساقط من «س».

(٢) «هذا» ساقط من «د».

(٣) في «ص»: «عباده».

(٤) قوله»: «بالحقيقة» ساقط من «ص» و«س».

(٥) «فإنه» ساقط من «س»، وفي «ش»: «فإن».

(٦) في «ص»: «وهو المتفضل»، وفي «س»: «فالمتفضل».

(٧) «وإن» ساقط من «د».

(٨) في «س» و«ش»: «تجلب» وهذا تصحيف.

(٩) في «ش»: «فمن».

(١٠) في «ش»: «إلى».

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

(١٢) في «ش»: «ما».

(١٣) «به» ساقط من «ش» و«د» و«س».

(١٤) في «س» و«ص» و«ش»: «أهلي لحبي»، وقد تقدم تخريجه في (ص٤٥٧).

المحبة هو لم يعرف من جهة الله ما يستوجب به[1] أنه[2] يحبه[3]، إلا إحسانه[4] إليه، وهذا كما قالوا: إن الحمد لله على نوعين: حمد هو شكر، وذلك لا يكون[5] إلا على نعمته[6]، وحمد هو مدح[7] وثناء عليه ومحبة له[8]؛ وهو بما يستحقه لنفسه سبحانه. فكذلك الحب، فإن الأصل الثاني فيه: هو محبته لما هو له أصل [وهذا[9] حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله][10] وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله[11] بها مما دلت عليه[12] أسماؤه وصفاته، إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه. حتى جميع مفعولاته إذ كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ولهذا استحق[13] أن يكون محمودًا على كل حال [ويستحق أن يحمد على السراء والضراء][14]، وهذا أعلى وأكمل وهو حب الخاصة،

---

(١) «به» ساقط من «س» و«د» و«ش».
(٢) «أنه» ساقط من «ص»، وفي «س» و«ش»: «أن».
(٣) في «ص»: «محبة»، وفي «د»: «يحبها».
(٤) في «س» و«ش»: «إلا إلى إحسانه إليه».
(٥) في «د»: «لا يلون» وهذا تحريف وهو خطأ.
(٦) في «ش»: «نعمة».
(٧) «مدح» ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وكذلك الواو بعدها ساقطة من «س» و«ص» و«ش».
(٨) قوله: «ومحبة له» ساقط من «س» و«ش».
(٩) الواو ساقطة من «س» و«ش».
(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».
(١١) لفظة الجلالة ساقط من «س» و«ش».
(١٢) «عليه» ساقط من «س» و«ش».
(١٣) في «ص»: «يستحق».
(١٤) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر إلى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته، ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك، حتى لو انقطعوا[1] عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطاق، وهم السابقون كما في الحديث في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «مر النبي ﷺ بجبل يقال له: جُمْدان[2] فقال: سيروا، هذا جُمْدَان[3] سبق المُفْرِدُون. قالوا: يا رسول الله، من المُفْرِدُون؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[4]. وفي رواية أخرى قال: «المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون[5] يوم القيامة خفافًا[6]». وفي[7] حديث هارون بن عنترة[8] عن

---

(١) في «د»: «قطعوا».

(٢) في «س» و«ص» و«ش»: «حمدان» وهذا تصحيف.

(٣) في «س» و«ص» و«ش»: «حمران».

(٤) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب الحث على ذكر الله (١)، ح٢٦٧٦/ ٤، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له: جُمْدَان فقال: «سيروا، هذا جُمْدَان سبق المُفْرِدُون». قالوا: وما المُفْرِدُون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات».

(٥) في «د» و«ص» و«ش»: «فيأتون الله» والذي أثبته في النص من نسخة «س» لموافقتها لفظ الحديث في «سنن الترمذي».

(٦) أخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (١٢٩)، ح٣٥٩٦، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافًا» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٧) في «د» بعد كلمة «خفافًا»: «هي». و«المستهتر بذكر الله يتولع به ينعم به كلف لا يفتر عنه» وهو في طبعة الفتاوى: (١٠/ ٨٥).

(٨) في «ش» هكذا: «عسرة»، وفي «د» هكذا: «عبرة»، وهذا تحريف. =

أبيه[1] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قال موسى: يا رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يطلب علم الناس إلى علمه ليجد كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى. قال: فأي عبادك أحكم[2]؟ قال: الذي يحكم على نفسه كما يحكم على غيره، ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه»[3]. فذكر في هذا الحديث[4] الحب والعلم والعدل، وذلك جماع الخير.

ومما ينبغي التفطن له[5]، أنه لا يجوز أن يظن في باب محبة الله تعالى

= وهو هارون بن عنترة، بنون ثم مثناة، ابن عبد الرحمن الشيباني أبو عبد الرحمن أو أبو عمرو ابن أبي وكيع الكوفي، لا بأس به. مات سنة اثنتين وأربعين ومائة.

انظر: «التقريب» لابن حجر: (٢/ ٣١٢).

وأبو هارون هو عنترة بن عبد الرحمن الكوفي ثقة، وهم من زعم له صحبة، روى عن ابن عباس، وروى عنه ابنه.

انظر: «التقريب» لابن حجر: (٢/ ٨٩)، و«تهذيب التهذيب»: (٨/ ١٦٢).

(١) في «د» بعد كلمة «عن أبيه»: «نعم به كلف» وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في «ص»: «أحلم» وهذا تصحيف.

(٣) لم أجد هذا الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، والذي وجدته هو ما أخرجه الدارمي في «سننه» في المقدمة: (١/ ١٠٢)، في باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله.

ولفظه هناك: «أخبرنا عبد الله بن موسى عن عثمان بن الأسود عن عطاء قال: قال موسى: يا رب أي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه. قال: يا رب، أي عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له. قال: يا رب أي عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمهم بي».

وكذلك أخرجه ابن المبارك في «الزهد»: (ص١٨٨) بلفظ الدارمي وسنده.

(٤) «الحديث» ساقط من «س» و«ش».

(٥) «له» ساقط من «س».

ما يظن في محبة غيره، مما[1] هو من جنس التجني، والهجر والقطيعة[2] لغير سبب، ونحو ذلك مما قد يغلط فيه طوائف من الناس حتى يتمثلوا في حبه بجنس ما يتمثلون به في حب من يصد ويقطع بغير ذنب، أو يبعد من يتقرب إليه وإن غلط في ذلك من غلط[3] من المصنفين[4] في رسائلهم حتى يكون مضمون كلامهم إقامة الحجة على الله، بل[5] لله الحجة البالغة.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[6]. وفي بعض

---

(١) في «س»: «لما» وهو خطأ.

(٢) التجني: مثل التجرم، وهو أن يدعي عليك ذنبًا لم تفعله. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ٥١٩)، مادة: «جنى».
الهجر: ضد الوصل، ويقال: هجرت الشيء هجرًا إذا تركته وأغفلته. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ٧٧١)، مادة: «هجر».
والقطيعة: الهجران، والصد ضد الوصل. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ١١٩)، مادة: «قطع».

(٣) قوله: «من غلط» ساقط من «ص».

(٤) في «س» و«ص» و«د»: «المتمثلين» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٥) في «ص»: «قل فلله».

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب الحث على ذكر الله (١)، ح٢٦٧٥/ ٢، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليه ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني=

الآثار يقول الله تعالى: «أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي: إن تابوا فأنا حبيبهم؛ لأن الله تعالى يحب التوابين[1]، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب حتى أطهرهم من المعايب»[2].

وقد[3] قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[4]، قالوا: الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم أن ينقص من حسنات نفسه[5]، وقال[6] تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[7]، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[8]. وفي

= يمشي أتيته هرولة». وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب (١٥)، ح٧٤٠٥، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(١) في «ص» بعد كلمة «التوابين»: «ويحب المتطهرين».

(٢) ذكر ابن القيم هذا الأثر في كتابه «مدارج السالكين» في موضعين: (١/ ١٩٤ ـ ١٩٥)، وفي (١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، وأشار إلى أنه في «مسند الإمام أحمد» وبحثت عنه في «المسند» فلم أجده، وسألت من له اهتمام بهذا فأخبرني أنه بحث عنه في «المسند» فلم يجده فيه ولا في غيره.

(٣) «قد» ساقط من «س».

(٤) سورة طه، الآية: ١١٢.

(٥) قال ابن كثير في «تفسيره» (ص١٦٦): (لما ذكر الظالمين ووعيدهم، ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون، أي: لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد، فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص) اهـ.

(٦) في «ش»: «وقد قال تعالى».

(٧) سورة النحل، الآية: ١١٨.

(٨) سورة هود، الآية: ١٠١، وهذه الآية ساقطة من «س» و«ص» و«ش».

الحديث[1] الصحيح عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا[2]، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي، [لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر. يا عبادي][3]، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم[4] أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[5].

---

(١) قوله: «وفي الحديث» ساقط من «ص».

(٢) في «س» و«د» و«ش» بدل كلمة «جميعا» عبادة هي: «ولا أبالي»، والذي أثبته في النص من «ص» ورجحناها لموافقتها نص الحديث في «صحيح مسلم».

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٤) في «ش»: «أوفيكم».

(٥) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب تحريم الظلم (١٥)، ح٢٥٧٧، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

ولهذا كان سيد الاستغفار[1] ما رواه البخاري في «صحيحه»[2] عن شداد بن أوس[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك[4] بذنبي، فاغفر لي، فإنه[5] لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها إذا أصبح موقنًا بها فمات في يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى موقنًا بها فمات لليلته دخل الجنة»[6].

فالعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في أنعم[7] الله وآلائه[8] ولا يزال محتاجًا إلى التوبة والاستغفار.

---

(١) في «د»: «ومن ذلك ما رواه»، وفي «س» و«ش»: «ولما كان ما رواه».

(٢) قوله: «في صحيحه» ساقط من «س».

(٣) شداد بن أوس بن ثابت بن أخي حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، صحابي يكنى أبا يعلى، نزل الشام بناحية فلسطين، ومات بها سنة إحدى وأربعين، وقيل: توفي سنة أربع وستين، قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم.
انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٥/ ٥٢)، وكذلك «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر المطبوع بذيل «الإصابة»: (٥/ ٥٢).

(٤) «لك» ساقطة من «س» و«د» و«ش»، والذي أثبته في النص من «ص» لموافقتها «صحيح البخاري».

(٥) في «س» و«ش»: «إنه»، والذي أثبته في النص من «س» و«د» لموافقتها «صحيح البخاري».

(٦) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب أفضل الاستغفار (٢)، ح٦٣٠٦، عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

(٧) في «س»: «نعم الله» بإسقاط الألف.

(٨) كلمة «وآلائه» ساقطة من «س».

ولهذا كان سيد ولد آدم وإمام المتقين محمد ﷺ[1] يستغفر في جميع الأحوال.

وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[2]: «يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم[3] [فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»][4].
وقال عبد الله بن عمر: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، مائة مرة»[5].

---

(١) «محمد ﷺ» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٢) في جميع النسخ والمطبوعة «الذي رواه البخاري»، والصحيح أنه في «صحيح مسلم»، ولعل الشيخ عليه السلام ابن تيمية وهم فظنه في البخاري فسبحان من له الكمال على الدوام، أو أن هذا وقع من تصحيف الناسخ والله أعلم.

(٣) في «د» خلط الناسخ بين هذا الحديث وحديث البخاري فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني لأستغفر الله وأتوب إليه . . » إلخ الحديث. وكذلك في مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٨٨).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «د».
وهذا الحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٢)، ح٢٧٠٢/ ٤٢، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة».

(٥) كلمة: «الرحيم» في «د» بدلاً منها: «الغفور».
هذا الحديث أورده الناسخ في «د» بعد الحديث الذي في «صحيح مسلم»: «إنه ليغان على قلبي»، وكذلك في المطبوعة: (١٠/ ٨٨) حيث أخره عن مكانه في بقية النسخ.
والحديث في «سنن الترمذي»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٣٩)، ح٣٤٣٤، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان يُعَدُّ لرسول ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة، من قبل أن يقوم: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور». وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

[وقال: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر[1] من سبعين مرة»][2].

وفي «صحيح مسلم»[3] أنه قال: «إنه[4] ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله[5] في اليوم[6] مائة مرة»[7]. ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم[8] الأعمال.

---

(١) في «س» و«ش»: «اثنين وسبعين مرة»، والذي أثبته في النص من «د» لموافقتها «صحيح البخاري».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب (٣)، ح٦٣٠٧، عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

(٣) في «ش»: «صحيح البخاري»، وهذا تحريف وهو خطأ، والصحيح الذي أثبته في النص.

(٤) كلمة: «إنه» ساقطة من «ش».

(٥) في «ص» زيادة هي: «وأتوب إليه»، وليست في «صحيح مسلم».

(٦) في «د» زيادة هي: «والليلة»، وليست في «صحيح مسلم».

(٧) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٢)، ح٢٧٠٢/ ٤١ عن الأغر المزني بلفظه.

وفي «لسان العرب» لابن منظور: (٢/ ١٠٣٩)، مادة: «غين». والمراد بالغين المذكور في الحديث هو: (ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر، لأن قلبه أبدًا كان مشغولاً بالله تعالى فإن عرض له وقتًا ما عارض بشري يشغله عن أمور الأمة والملة ومصالحها عد ذلك ذنبًا وتقصيرًا فيفزع إلى الاستغفار. قال أبو عبيدة: يعني أنه يتغشى القلب ما يلبسه، وكذلك كل شيء يغشى شيئًا حتى يلبسه فقد غين عليه).

(٨) في «ش»: «الخواتيم» وهذا تصحيف.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[(١)]. (وقال بعضهم: أحيوا الليل بالصلاة)[(٢)]. فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار[(٣)]. وفي «الصحيح»: «أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر[(٤)] ثلاثًا، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[(٥)].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ[(٦)] وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[(٧)].

وقد أمر الله نبيه بعد أن بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده، وأتى بما أمر الله به، مما لم يصل إليه أحد غيره، فقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٢) كلمة: «الصلاة» ساقطة من «ص».

(٣) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري: (٣/ ١٣٩). وانظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (١/ ٣٥٣)، وفيه: عن أنس بن مالك قال: «كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة».

(٤) في «س»: «يستغفر»، وفي «س»: «استغفر الله».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥)، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٦)، ح٥٩١/ ١٣٥، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٦) قوله تعالى: ﴿واذكروه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أفاض الناس﴾ ساقط من «س»، وكذلك قوله تعالى: ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ ساقط من «ص» و«ش»، وبدلاً منه قال الناس: «إلى قوله».

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٨ ـ ١٩٩.

رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[1]. ولهذا كان قوام[2] الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ[3] إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُۗ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[6].

ولهذا جاء في الحديث: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار»[7].

---

(١) سورة النصر، وفي «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٦٣): قالت عائشة كان رسول الله يكثر في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» وقال: «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان توابًا. فقد رأيتها ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾. ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند. وفي «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الصلاة (٤)، باب (٤٢)، ح٤٨٤/ ٢٢٠، عن عائشة بلفظ يقارب ما ذكر ابن كثير في «تفسيره».

(٢) كلمة: «قوام» ساقطة من «ص».

(٣) في «ص» و«د»: «أن لا تعبدوا» وهو خطأ.

(٤) سورة هود، الآيات: ١ ـ ٣.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٦.

(٦) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٧) في «ص» و«د»: «وبالاستغفار».

والحديث أخرجه أبو عاصم في كتابه «السنة»: (١/ ٩ ـ ١٠)، طبع المكتب الإسلامي بتخريج الألباني ولفظه هناك: عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ=

وقد[1] قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

«وكان النبي ﷺ إذا ركب دابته يحمد الله ثلاثًا، ثم يكبر ثلاثًا، ويقول: لا إله إلا أنت سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي»[3].

وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء[4]: «سبحانك

= قال: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون».

قال الألباني: (إسناده موضوع، آفته عبد الغفور، وهو أبو الصباح الأنصاري الواسطي قال البخاري: تركوه. وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث، وعثمان بن مطر ضعيف، وأبو بصير إن كان العبدي الكوفي فهو مقبول عند العسقلاني، وإن كان غيره فلم أعرفه» انتهى كلام الشيخ الألباني.

وفي «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٧)، قال: ضعيف.

(١) «قد» ساقط من «س».

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٣) في «سنن الترمذي»: ج٥، كتاب الدعوات (٥)، باب (٤٧)، ح٣٤٤٦، عن علي بن ربيعة قال: شهدت عليًا أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله ثلاثًا، فلما استوى على ظهرها، قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ ثم قال: الحمد لله ثلاثًا، والله أكبر ثلاثًا سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك. قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك فقلت من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك». قال: هذا حديث حسن صحيح. انتهى.

(٤) كلمة: «والوضوء» ساقطة من «د».

اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[١].

آخر القاعدة والحمد لله رب العالمين[٢]، وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٣].

---

(١) «سنن الترمذي»: ج٥، كتاب الدعوات، (٤٩)، باب (٣٩)، ح٣٤٣٣، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك». وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه لا نعرفه من حديث إلا من هذا الوجه.

(٢) وفي «د»: «تمت التحفة. بحمد الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم). وفي «ش»: «والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. آمين».، وفي «س»: «آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين كان الفراغ منها سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين».

(٣) في «ص» بعد كلمة: «العظيم» هذه العبارة: «علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده العبد الفقير عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي الحنبلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ونفعه الله بالعلم النافع والعمل الصالح وسائر المسلمين ووافق الفراغ منها الأحد المبارك عاشر رجب المحرم سنة أربع وثمانين ختمت بخير».